

نقد و تمحيص روايات المهدي (الشيعية)

ألفه بالفارسية الأستاذ الفاضل:
م. عبد الله

ترجمه إلى العربية وعلّق حواشيه:
سعد رستم

هذا الكتاب تم تنزيله من موقع العقيدة
www.aqeedeh.com

book@aqeedeh.com

العنوان
البريدي:

المواقع الإسلامية النافعة باللغة الفارسية

www.aqeedeh.com

www.islamtxt.com

www.ahlesonnat.com

www.isl.org.uk

www.islamtape.com

www.blestfamily.com

www.islamworldnews.com

www.islamage.com

www.islamwebpedia.com

www.islampp.com

www.videofarda.com

www.nourtv.net

www.sadaiislam.com

www.islamhouse.com

www.bidary.net

www.tabesh.net

www.farsi.sunnionline.us

www.sunni-news.net

www.mohtadeen.com

www.ijtehadat.com

www.islam411.com

www.videofarsi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس محتويات الكتاب

١	فهرس محتويات الكتاب
٣	مقدمة الترجمة
٥	صورة لصفحة الغلاف من الأصل الفارسي للكتاب
٦	صورة للصفحة الأولى والأخيرة من الأصل الفارسي للكتاب
٧	مقدمة المؤلف
١١	الفصل الأول: نظرة إلى الروايات حول «المهدي»
١١	«أم الإمام»
١٤	كيفية ولادة القائم!
٢٠	تاريخ ولادته
٢٠	كيفية نموه
٢٢	مسألة الرجعة
٢٧	نقد خير المفضّل بن عمّر
٢٧	[الأدلة على بطلان الرجعة]
٢٨	[ردّ الطعن بأبي بكر وعمر وبيان ثناء القرآن والصحابه والتابعين عليهما]
٣٣	المهدي يجعل جميع الناس مسلمين!
	الفصل الثاني: الآيات التي يستدلّون بها على المهدي مع أنه ليس فيها أي دلالة عليه
٣٥	
٤٥	الفصل الثالث: حديث لوح جابر
٤٨	لم يكن هناك ولدٌ للإمام الحسن العسكري
٥١	خلفاء المهدي



مقدّمة الترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله، وآله أهل الله، وصحبه أنصار الله، ومن سار على نهجهم إلى يوم لقاء الله، وبعد،

من العقائد التي وجدت منذ القديم بين المسلمين وشغلت حيزاً من تاريخهم، الإيمان بقيام مصلح باسم المهدي يظهر في آخر الزمن، ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تمتلئ ظلماً وجوراً، وقد ظهر كثيرون في قرون الإسلام الأولى وما بعدها ادعى هذا المنصب، وقد رويت أحاديث وأخبار في كتب الفريقين حول ظهور مهديّ في آخر الزمن.

إلا أن هذه العقيدة البسيطة أخذت لدى الفكر الإمامي الإثني عشري منحى آخر إذ اعتبروا أن هذا المهدي قد ولد فعلاً منذ أكثر من ألف ومائتي عام، وأنه ابن الإمام الحسن العسكري، وأنه غاب بعد ولادته بخمسة أعوام واستتر عن الأنظار، وهو لا يزال حياً غائباً وسيظهر في آخر الزمن عندما يأذن له الله بالظهور. وازدادت أهمية هذه العقيدة لدى الإمامية يوماً بعد يوم، وأحييت بهالة من التصورات المغالية والمبالغات والقصص العجيبة ونشأ حولها كمٌّ كبير من الأخبار والقصص والآثار.

وقد قام مؤلف هذه الرسالة الأستاذ «م. عبد الله» - [وهو أستاذ فاضل معاصر من أهالي طهران قد التقيتُ به قبل عقدين وهو الآن في الخامسة والخمسين من عمره ويعمل حالياً موظفاً في إحدى الدوائر] - وهو من الشيعة المستبصرين للحق المنادين بتصحيح العقائد الذين يطلق عليهم البعض اسم «القرآنيين الشيعة» ومن رفقاء الأستاذ قلمداران وآية الله البرقي والسيد الطباطبائي، المنتمين إلى مدرستهم الإصلاحية الداعية إلى إعادة النظر في بعض العقائد الشيعية الإمامية الموروثة - قام بدراسة مركزية لمستندات ووثائق ولادة هذا المهدي المنتظر في كتب الشيعة الإمامية، فوجد أن هذه العقيدة الهامة جداً في الفكر الإمامي والتي كان من المفترض أن تكون أدلتها قوية وقاطعة بما يتناسب مع حجم أهميتها، لا تستند إلا إلى أخبار وقصص متناقضة ومتضاربة يكذب بعضها بعضاً، وإلى تأويلات لبعض الآيات القرآنية بادعاء أنها تتكلم عن المهدي المنتظر رغم أنه ليس في ألفاظها أي دلالة صريحة على ذلك. ولاحظ المؤلف أن فكرة المهدي الغائب المنتظر كانت قديمة لدى فرق الشيعة، ثم بعد وفاة الإمام الحادي عشر أي الإمام الحسن العسكري، انقسم شيعته إلى فرق عديدة معظمها كان يؤكد أنه لم يخلف أي ولد. وبالتالي رأى المؤلف أن هذه العقيدة الشيعية رغم شهرتها البالغة لا تستند إلى أساس محكم ودليل موثوق، بل هي عقيدة مصطنعة.

وقد نقد المؤلف خلال بحثه أيضاً بعض العقائد الشيعية المغالية الأخرى مثل عقيدة الرجعة، والطعن بالشيخين والخليفين الراشدين أبي بكر وعمر، ففندها وبين بطلانها بأدلة محكمة من القرآن الكريم ومن أحاديث العترة الطاهرة.

ويمكن تلخيص الأدلة التي اعتمدها المؤلف في تفنيد فكرة المهدي الغائب بالنقاط الثلاث التالية:

الأولى: استعراض الروايات التي تتحدث عن ولادته ونموه وغيبته وبيان تضاربها وتناقضها.

الثانية: تفنيد الاستدلال على المهدي المنتظر بآيات من القرآن، ببيان المعنى الصحيح الواضح لهذه الآيات وأنها لا تتضمن أي دلالة على المهدي.

الثالثة: النقد التاريخي حيث استدلت بتشعب وتفرق شيعة الإمام الحادي عشر بعد وفاته إلى فرق عديدة أغلبها ينكر وجود خلف له.

وهذا من الجدير بالذكر أن للمؤلف المحترم كتاباً قيماً ممتاز آخر باسم «اسلام ناب» [أي الإسلام النقيّ الأصيل] نشره عام ١٤٢٥ هـ. ق. (أي قبل خمس سنوات من الآن) يقع في ٢٤٤ صفحة، نقد فيه جملة من الأمور والممارسات والعقائد الخاطئة لعوام الشيعة والصوفية الغلاة، المخلة بالتوحيد، وكتب فيه مباحث نقدية جيدة حول المفاهيم الخاطئة المنتشرة لدى قومه حول التوسل والشفاعة ونظرية الإمامة (الاثني عشرية) وطقوس العزاء الحسيني والغلو، وقد ضمن قسماً من كتابه الحالي الذي ترجمناه هنا في آخر كتابه «اسلام ناب» هذا خلال معالجته لموضوع «إمام الزمان» أي المهدي الغائب المنتظر.

هذا ما وددت ذكره في هذه المقدمة وفي الختام أذكر بأن الحواشي في هذا الكتاب الذي تقدمه بين يدي القراء هي للمترجم (راقم هذه السطور) سوى حاشيتين للمؤلف ميزتهما بكلمة (المؤلف).. والحمد لله أولاً وأخيراً وهو وليّ التوفيق والقادر عليه.

المترجم

صورة لصفحة الغلاف من الأصل الفارسي للكتاب

تقد و برسی
روایات مهدی

م. عبد اللهی

صورة للصفحة الأولى والأخيرة من الأصل الفارسي للكتاب



دو، و بود و مورد قبول شد، اما همه نسخه‌ها بر عهد ما نامه خبر
 مکن از آن گروه که در حدود ۱۸۳۰ فرستادند، تشکیل می‌دهند از روایت
 دروغ برای طالبانست، خود استاد گفته اند که اگر در صورتی که
 نوشته‌ها معتدبانه است، در صورتی که در کتاب مذکور
 گروه می‌باشد و هر چه که در مورد امام خود می‌باشد
 است، آن را امام رهبر است، و در کتاب مذکور (و چنانکه
 مذکور است) پس منکر است، در مورد او و دیگر گروه مذکور
 و چنانکه مذکور است، در مورد روایت مذکور، و در کتاب مذکور
 آن روایت مذکور است.

مقدّمة المؤلّف

بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ ظهرت فرقةٌ عديدةٌ بين المسلمين. وما يهْمُنَا هنا هو الفرق التي عدتْ نفسها من محبّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام وشيعته. ولا شك أننا لو أردنا أن نذكر جميع الاختلافات التي وقعت بين هذه الفرق لاحتجنا إلى كتاب بأسره. لذا نحيل من يريد التفصيل من القراء الأعزاء إلى الكتب المختلفة التي ألّفت في هذا الصدد ومن ذلك كتاب: «فرق الشيعة» للنوبختي^(١)، و«مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» للأشعري^(٢) و«الملل والنحل» للشهرستاني^(٣)، و«المقالات والفرق» للأشعري^(٤).
اختلف المسلمون بعد النبي ﷺ بشأن خلافته بين سعد بن عبادة وأبي بكر بن أبي قحافة، وانتهى الأمر بأن أصبح أبو بكر خليفة النبي ﷺ.

وبعد أبي بكر انتقلت الخلافة إلى عمر وبعده إلى عثمان وبعده آلت الخلافة إلى علي بن أبي طالب. وعارض جماعة، ومنهم معاوية، خلافة علي وسُمّوا بأصحاب صفين. وكذلك خالف جماعة آخرون علياً وقادهم في ذلك عائشة وطلحة والزبير وعُرفوا بأصحاب الجمل. وامتنع فريق ثالث مثل أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص عن نصرته أو مخالفة علي وأظهروا الحياد وعرفوا بالمعتزلة. ثم لما رضي علي بعد ذلك بالحكمين انشقت عنه فرقة اعتبرت علياً مشركاً وعرفوا بالمارقين. ولما قتل عليّ قال فريقٌ: لم يمت بل غاب وسيعود ليملاً الأرض عدلاً وقسطاً. وكان رأس هذا الفريق يهوديًّ اعتنق الإسلام يُدعى «عبد الله بن سبأ» وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وتبرأ منهم، وغلا في عليّ، وسُمّيت هذه الفرقة بالسبئية.
وكان لعليّ عدّة أولاد منهم: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، فذهبت فرقةٌ بعد مقتل عليّ إلى القول بإمامة ابنه محمد بن الحنفية وسُمّيت بالكيسانية، في حين بايع آخرون الحسن بن علي بالإمامة. ولم يوصِ عليّ بالخلافة لابنه الحسن، كما نص على ذلك كتاب «مروج الذهب» للمسعودي والذي يُعدُّ من كتب الشيعة، وكتاب «تاريخ الطبري» وغيرها، التي ذكرت أنه لما أدركت علياً الوفاة سئل: «يا أمير المؤمنين! رأيت إن فقدناك، ولا نفقدك، أنبايع الحسن؟ فأجاب: لا أمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.»^(٥)

وبعد «الحسن بن علي» بايع جماعة من أنصاره «الحسين بن علي» فلما قُتل الحسين

(١) واسمه الكامل: أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، وتوفي بين سنة ٣٠٠ و٣١٠ هـ.

(٢) هو: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى ٣٢٤ أو ٣٣٠ هـ.

(٣) هو: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني المتوفى ٥٤٨ هـ.

(٤) هو: سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي المتوفى سنة ٣٠١ هـ.

(٥) مروج الذهب: للمسعودي: ج ٢/ ص ٤٢٥، وتاريخ الأمم والملوك: للطبري: ج ٥/ ص ١٤٦ - ١٤٧، والبداية والنهاية: لابن كثير: ج ٧/ ص ٣٢٧.

حارت فرقة من أصحابه وقالوا: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين، فالحسن، رغم كثرة أنصاره وقوته، وادع معاوية وتنازل له عن الخلافة وكان يأخذ معاشاً مالياً منه، في حين أن الحسين رغم قلة أنصاره حارب يزيد بن معاوية حتى قُتل وقُتل أصحابه جميعاً، فشكوا لذلك في إمامتهما وذهبوا إلى إمامة محمد بن علي بن أبي طالب بن الحنفية. وبعد موت «محمد بن الحنفية» قالت فرقة بل هو حي لم يموت ولن يموت أبداً بل غاب عن الأنظار وهو مختبئ في جبل رضوى حيث تأتيه الغزلان كل صباح فيشرب من ألبانها، وعن يمينه أسد وعن يساره نمر! وقال فريق آخر إن «محمد بن الحنفية» مات وانتقلت الإمامة بعده إلى ابنه «أبي هاشم عبد الله بن محمد»، وقالت فرقة إن عبد الله بن محمد مات وعهد بالإمامة إلى أخيه «علي بن محمد»، وقال جماعة آخرون بل إن «أبي هاشم عبد الله بن محمد» أوصى من بعده إلى «محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب». وقال فريق آخر إن «أبو هاشم عبد الله بن محمد بن حنفية أوصى من بعده الي عبد الله بن معاوية بن جعفر أبي طالب ولما قُتل «عبد الله بن معاوية» [بن جعفر بن أبي طالب] على يد أبي مسلم، افترق أصحابه ثلاث فرق، ففرقة قالت إن «عبد الله بن معاوية» لم يموت بل هو حي وهو في جبال أصفهان. وفرقة قالت: بل مات ولم يوص لأحد من بعده. وذهبت فرقة ثالثة إلى القول بتناسخ الأرواح في حقه.

وذهبت فرقة إلى إمامة «أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين» (الإمام الباقر)، ولكن لما أجاب الإمام الباقر عن سؤال سأله إياه «عمرو بن رباح» بإجابة، ثم في سنة أخرى أجاب عن السؤال ذاته بإجابة مختلفة مناقضة لإجابته السابقة، اعتزله «عمرو بن رباح» وآخرون قائلين: كيف يجيب الإمام بإجابتين متضادتين؟.

وقالت فرقة أخرى: كانت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومحمد بن الحنفية كلها باطلة لأن الخلافة حقٌ لعِم النبي ووارثه «العباس بن عبد المطلب»، فقد كان أقرب الناس إلى النبي ﷺ، وبعد وفاة العباس انتقلت الإمامة إلى ابنه عبد الله بن عباس وبعده إلى ابنه «علي بن عبد الله»، ثم قالوا بعده بإمامة «إبراهيم بن محمد»، ثم اعتبروا أخاه «عبد الله بن العباس» المعروف بالسفاح إماماً ثم قالوا بإمامة أخيه من بعده «عبد الله بن جعفر المنصور». وأوصى أبو العباس السفاح بالخلافة من بعده إلى أبي جعفر المنصور وإلى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وقام عبد الله بن علي بن عبد الله بمنزعة المنصور على الخلافة، وادعى الإمامة وأنه خليفة أبي العباس السفاح، فقاتله أبو مسلم وهزمه بالخ.

وقالت فرقة إن الإمام هو من قام بالسيف، فقالوا بإمامة علي بن أبي طالب والحسين بن علي، ثم من بعده قالوا بإمامة «زيد بن علي بن الحسين» ثم بإمامة ابنه «يحيى بن زيد» وبعده بإمامة «عيسى» وبعده بإمامة «محمد بن عبد الله» المعروف بالنفس الزكية. وبعد مقتل محمد بن عبد الله النفس الزكية قال جماعة لم يموت بل غاب واختفى وسيظهر ويقوم قريباً. وقالت فرقة بإمامة «جعفر بن محمد» (الإمام جعفر الصادق). وأوصى الإمام جعفر أثناء حياته بالإمامة من بعده إلى ابنه إسماعيل، لكن إسماعيل توفي في حياة أبيه، فأنكرت جماعة موت إسماعيل في حياة أبيه لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له، وأخبرهم أنه صاحبهم، والإمام لا يقول إلا الحق، وهؤلاء هم فرقة الإسماعيلية.

وبعد موت جعفر الصادق أنكرت فرقة موته وقالت إن «جعفر بن محمد» حي لم يموت ولا يموت حتى يظهر ويولي أمر الناس، وهو القائم المهدي. في حين قالت فرقة أخرى إن الإمام بعد جعفر، حفيده «محمد بن إسماعيل بن جعفر». وروت فرقة أخرى حديثاً عن جعفر وعن أبيه أنهما قالوا: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا نصب، لذا ذهبوا إلى انتقال الإمامة بعد جعفر إلى ابنه «عبد الله بن جعفر» الملقب بالأفطح، الذي كان أكبر أولاد جعفر بن محمد سناً وسموا بالفطحية. وقالت فرقة إن الإمام بعد جعفر بن محمد هو ابنه «موسى بن جعفر» [الإمام الكاظم]، فلما قتل موسى بن جعفر في حبس هارون الرشيد، افترق أتباعه إلى خمس فرق، فقالت فرقة إن موسى بن جعفر لم يموت، بل هرب من السجن نهراً ولم يره أحد ولم يعلم به وأنه حي لا يموت وسيعود حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملاها كلها عدلاً كما ملئت جوراً. وقالت فرقة إن الإمام بعد موسى بن جعفر ابنه «علي بن موسى الرضا». وقالت فرقة أخرى: ليس هناك إمام بعد موسى بن جعفر، وانتهت الإمامة بموته، وهؤلاء عرفوا بالواقفة. وقالت فرقة لا ندري أحيي «موسى بن جعفر» أم ميت؟ لأننا قد روينا فيه أخباراً كثيرة تدل على أنه القائم المهدي فلا يجوز تكذيبها، وقد ورد علينا من خبر وفاته مثل الذي ورد علينا من خبر وفاة أبيه وجده والماضين من آبائه في معنى صحة الخبر، فهو أيضاً مما لا يجوز رده وإنكاره. فوقفنا عند ذلك على إطلاق موته وعن الإقرار بحياته، ونحن مقيمون على إمامته لا نتجاوزها إلى غيره حتى يصح لنا أمره. وقالت فرقة منهم إن موسى بن جعفر لم يموت ولم يحبس، وأنه غاب واستتر، وسيظهر ويقوم عن قريب وهو القائم المهدي، وهؤلاء هم أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد، لذلك سميت هذه الفرقة بالبشيرية.

ثم لما توفي «علي بن موسى الرضا» قالت فرقة إن الإمام من بعده أخوه «أحمد بن موسى بن جعفر» الملقب بـ«شاهجراغ». ورجعت فرقة أخرى عن إمامة علي بن موسى بعد موته إلى قومهم من الزيدية. وقالت فرقة أخرى إن الإمام الرضا أوصى من بعده لابنه «محمد بن علي» [الإمام الجواد]، بيد أنه لما كان محمد بن علي هذا لا يزال صغيراً عند وفاة أبيه لم يقبل بعضهم بإمامته. ولما توفي محمد بن علي ذهبت فرقة إلى إمامة ابنه «علي بن محمد» [الإمام الهادي]. وذهبت فرقة أخرى من أتباع «محمد بن علي» إلى إمامة رجل يدعى «محمد بن نصير النميري» ومن بعده قالوا بإمامة رجل اسمه «أحمد».

هذا ولما كان الإمام الهادي أوصى بالإمامة لابنه «سيد محمد» لكن الأخير مات في حياة أبيه، وقع الناس في الحيرة والاختلاف، فقال بعضهم إنه - أي سيد محمد - لم يموت لأن أباه أوصى له بالإمامة من بعده، وقال آخرون بإمامة ابن آخر للإمام الهادي هو «الحسن بن علي العسكري». وقال آخرون بإمامة ابن ثالث آخر للإمام الهادي أي «جعفر بن علي».

ولما توفي الحسن العسكري، ولم يخلف أولاداً تفرق شيعته وانقسموا إلى أربعة عشر فرقة. فقال فرقة منهم إن «الحسن العسكري» لم يموت بل هو حي وقد غاب وسوف يظهر، وقال سبع فرق آخرين أنه لم ينجب ولداً أصلاً، ونحن مهما بحثنا وتفحصنا لم نجد له ابناً خلال حياته وبعد موته، وقالت فرقة واحدة من بين تلك الفرق الأربع عشرة إن

«جعفر» أخ «الحسن العسكري» هو خليفته، وقالت فرقة أخرى من تلك الفرق الأربع عشرة: نحن لا ندري هل كان للحسن العسكري ولد أم لا؟ وقالت فرقة أخرى منهم بقول مشابه لقول «الفتحية» وأثبتوا أن جعفرَ أبا الحسن العسكري هو خليفته في الإمامة، وقالت فرقة واحدة من تلك الفرق فقط إنه كان للإمام الحسن العسكري ولدٌ اسمه «محمد» وقد غاب واستتر، وابتدع هؤلاء روايات بشأنه وسنقوم - بعون الله وفضله - بتمحيص هذه الروايات في رسالتنا هذه، ونأمل أن يوفقنا الله تعالى لكشف الأكاذيب التي هيكت في هذا المجال باسم الإسلام وأن يتنبه الناس للحقيقة ويتجهوا إلى الله بالعبادة ويصرفوا تفكيرهم وأوقاتهم وأموالهم في سبيل الدعوة إلى الحق أي القرآن، ويتعدوا عن الأوهام وعبادة الأصنام والأكاذيب المضللة التي نُسبت إلى الإسلام، وأكبرها مسألة الإمامة بالمفهوم الشيعي الإمامي ومسألة المهديّة، وأن لا ينسوا هذا العبد الفقير من صالح دعائهم.

وفي ختام هذه المقدمة ينبغي أن أقول إن هذه الرسالة التي بين أيديكم هي نقد وتمحيص للروايات المتعلقة بالمهدي المنقولة في المجلد الثالث عشر من كتاب «بحار الأنوار» للمجلسي، والذي جمع المجلسي فيه جميع الروايات تقريباً المروية حول المهدي في سائر كتب الشيعة بما في ذلك كتاب «كمال الدين» للشيخ الصدوق، وكتاب «الغيبة» للشيخ الطوسي، وسائر الكتب الحديثية، ولم يترك أي مطلب حول هذا الأمر إلا ونقله، باستثناء بعض الروايات التي سننقلها أيضاً في هذه الرسالة تحت عنوان حديث «لوح جابر». أسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا الجهد، وأن يوفقنا ويوفقكم لنصرة دينه، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله.

م. عبد الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول:

نظرة إلى الروايات حول «المهدي»

«أم الإمام»

١- روى المجلسي في «بحار الأنوار» نقلاً عن الشيخ الصدوق في كتابه [إكمال الدين] عن أستاذه ابن الوليد عن مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ رِزْقِ اللَّهِ عَنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَمَزَةَ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: «حَدَّثَنِي السَّيِّدَةُ حَكِيمَةُ بِنْتُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ التَّقِيِّ قَالَتْ: بَعَثَ إِلَيَّ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ فَقَالَ: يَا عَمَّةُ! اجْعَلِي إِفْطَارَكَ اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا فَإِنَّهَا لَيَلَةٌ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيُظْهِرُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْحُجَّةَ وَهُوَ حُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ. قَالَتْ فَقُلْتُ لَهُ: وَمَنْ أُمُّهُ؟ قَالَ لِي نَرْجِسُ. قُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ مَا بِيهَا أَنْزُرُ [من آثار الحمل]. فَقَالَ: هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ...

فَلَمَّا أَنْ فَرَغْتُ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْأَجْرَةَ وَأَفْطَرْتُ وَأَخَذْتُ مَضْجَعِي فَرَقَدْتُ فَلَمَّا أَنْ كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فُتُّتُ إِلَى الصَّلَاةِ فَفَرَعْتُ مِنْ صَلَاتِي وَهِيَ [أي نرجس] نَائِمَةٌ لَيْسَ بِهَا حَدِيثٌ [أي لا خبر عن وضعها لحمل!].. الحديث»^(١).

٢- ويروي المجلسي في كتاب «بحار الأنوار» رواية مناقضة للرواية السابقة نقلاً عن الشيخ الصدوق في كتابه (إكمال الدين) عن السيدة حكيمة قالت: «بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَقَالَ يَا عَمَّةُ اجْعَلِي اللَّيْلَةَ إِفْطَارَكَ عِنْدِي فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَسْرُكُ بِوَلِيِّهِ وَحُجَّتِهِ عَلَى خَلْفِهِ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي قَالَتْ حَكِيمَةُ فَتَدَاخَلَنِي لِذَلِكَ سُرُورٌ شَدِيدٌ وَأَخَذْتُ ثِيَابِي عَلَيَّ وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي صَحْنِ دَارِهِ وَجَوَارِيهِ حَوْلَهُ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا سَيِّدِي الْخَلْفُ مِمَّنْ هُوَ قَالَ مِنْ سَوَسَنَ فَأَدْرْتُ طَرْفِي فِيهِمْ فَلَمْ أَرْ جَارِيَةً عَلَيْهَا أَنْزُرُ [أي للحمل] غَيْرَ سَوَسَنَ... الحديث»^(٢).

توضيح: كما لاحظنا الرواية السابقة تذكر أن اسم الجارية «نرجس» وأنه لم يكن عليها أي أثر من آثار الحمل، أما الرواية الأخيرة فتذكر أن اسم الجارية «سوسن» وأن

(١) بحار الأنوار، ج ٥١/ص ٢، حديث رقم ٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥١/ص ١٧، حديث رقم ٢٥.

أثر الحمل كان ظاهراً عليها!

٣- ويروي المجلسي في «بحار الأنوار» رواية أخرى مناقضة لكل من الروایتين السابقتين «عن بشر بن سليمان النخاس قال: أتاني كافر خادم الإمام علي النقي فقال مولانا أبو الحسن علي بن محمد يدعوك إليه، فأتيتُهُ فلما جلستُ بين يديه قال لي: يا بشر! إنك من ولد الأنصار وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف وأنتم ثقاننا أهل البيت وإبي مزيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بسير أطلعك عليه وأنفدك في ابتياع أمة فكتب كتاباً لطيفاً بخط رومي ولغة رومية وطبع عليه خاتمه وأخرج شقّة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال خذها وتوجه بها إلى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوّة يوم كذا فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبایا وترى الجوارى فيها سجد طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشردمة من فتيان العرب فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النخاس عامّة نهارك إلى أن تبرّز للمبتاعين جارية صفنها كذا وكذا لابسّة حريرين صفيقين تمتنع من العرض ولمس المعترض والإقياد لمن يحاول لمسها وتسمع صرخة رومية من وراء ستر رقيق فأعلم أنها تقول وا هنك ستره فيقول بعض المبتاعين علي ثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة فنقول له بالعربية لو برزت في زي سليمان بن داود وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة فأشفق على مالك! فيقول النخاس: فما الحيلة ولا بد من بيعك؟ فنقول الجارية: وما العجلة؟ ولا بد من اختيار مباح يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته. فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له إن معك كتاباً ملطفاً لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ووصف فيه كرمه ووفاءه وثبته وسخاه ثناؤها لتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالته إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك قال بشر بن سليمان فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن في أمر الجارية فلما نظرت في الكتاب بكث بكاء شديداً وقالت لعمر بن يزيد يعني من صاحب هذا الكتاب وحلفت بالمحرّجة والمغلظة أنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها فما زلت أشأه في ثمنها حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبيته مولاي من الدنانير فاستوفاه وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة وأنصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت أوى إليها ببغداد فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولانا من جيبيها وهي تلثمه وتطيفه على جفنها وتضعه على خدها وتمسحه على بدنها فقلت تعجباً منها تلتمين كتاباً لا تعرفين صاحبه فقالت أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء أعزني سمعك وفرغ لي قلبك أنا مليكة بنت يسوعا بن قيصر ملك الروم.....

[وتحكي قصتها ثم يواصل «بشر بن سليمان» حديثه فيقول:]

قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سامراء دخلت على مولاي الإمام علي النقي فقال: كيف أراك الله عز الإسلام ودل النصرانية وشرف محمد وأهل بيته؟ قالت: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به مني؟ قال: فإني أحب أن أكرمك فأيماً أحب إليك عشرة آلاف دينار أم بشرى لك بشرف الأبد قالت بشرى بولد لي قال لها بشرى بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملا الأرض قسماً وعدلاً كما ملئت ظمأً وجوراً قالت ممن قال ممن خطبك رسول الله ﷺ له ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا بالرومية قال لها ممن زوجك المسيح ووصيه قالت من ابنك أبي محمد فقال هل تعرفينه قالت وهل خلت ليلة لم يرني

فِيهَا مُنْذُ اللَّيْلَةِ الَّتِي أَسْلَمْتُ عَلَى يَدِ سَيِّدَةِ النَّسَاءِ قَالَ فَقَالَ مَوْلَانَا يَا كَافُورُ ادْعُ أُخْتِي حَكِيمَةَ فَلَمَّا دَخَلَتْ قَالَ لَهَا هَا هِيَ فَاعْتَنَقْتَهَا طَوِيلًا وَسَرَّتْ بِهَا كَثِيرًا. فَقَالَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ! حُذِيهَا إِلَى مَنْزِلِكِ وَعَلِّمِيهَا الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ فَإِنَّهَا زَوْجَةُ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأُمُّ الْقَائِمِ (١)».

توضيح: أولاً: ذكر في هذه الرواية أن اسم الجارية هو «مليكة» مما يتناقض مع ما ذكر في الروايتين السابقتين. ثانياً: في الروايتين السابقتين تسأل السيدة «حكيمه» الإمام الحسن العسكري: من هي أم القائم؟ فيجيب: «نرجس». ولكن في هذه الرواية يظهر أنه قبل أن يتزوج الإمام الحسن العسكري من «نرجس» كانت حكيمه تعلم من هي أم القائم، لأن الإمام العاشر عرفها بها وقال لها: هذه أم القائم. فهذا تناقض واضح آخر.

٤- الرواية الرابعة التي تناقض كل ما سبق، يرويها المجلسي في «بحار الأنوار» نقلاً عن كتاب «إكمال الدين» للصدوق بسنده عن «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُطَهَّرِيِّ قَالَ فَصَدْتُ حَكِيمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ بَعْدَ مُضِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ أَسْأَلَهَا عَنِ الْحُجَّةِ وَمَا قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْحَيْرَةِ الَّتِي فِيهَا فَقَالَتْ لِي اجْلِسْ فَجَلَسْتُ ثُمَّ قَالَتْ لِي يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخَلِّي الْأَرْضَ مِنْ حُجَّةٍ نَاطِقَةٍ أَوْ صَامِتَةٍ وَلَمْ يَجْعَلْهَا فِي أَحْوَيْنَ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ تَفْضِيلًا لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَتَمْيِيزًا لَهُمَا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ عَدِيلُهُمَا إِلَّا أَنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ وُلْدَ الْحُسَيْنِ بِالْفَضْلِ عَلَى وُلْدِ الْحَسَنِ كَمَا خَصَّ وُلْدَ هَارُونَ عَلَى وُلْدِ مُوسَى وَإِنْ كَانَ مُوسَى حُجَّةً عَلَى هَارُونَ وَالْفَضْلُ لَوْلَاهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا بُدَّ لِلْأُمَّةِ مِنْ حَيْرَةٍ يَرْتَابُ فِيهَا الْمُبْطِلُونَ وَيَخْلُصُ فِيهَا الْمُحَقُّونَ لِنَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَإِنَّ الْحَيْرَةَ لَا بُدَّ وَاقِعَةً بَعْدَ مُضِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ فَقُلْتُ يَا مَوْلَاتِي هَلْ كَانَ لِلْحَسَنِ وُلْدٌ فَتَبَسَّمتُ ثُمَّ قَالَتْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَسَنِ عَقِبٌ فَمَنْ الْحُجَّةُ مِنْ بَعْدِهِ وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَكُونُ لِأَحْوَيْنَ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدَتِي حَدِيثِي بِوِلَادَةِ مَوْلَاتِي وَعَيْبَتِي؟ قَالَ [قَالَتْ]: نَعَمْ كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا نَرْجِسُ فَرَارَنِي ابْنُ أَخِي وَأَقْبَلَ يُحْدِثُ النَّظَرَ إِلَيْهَا فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي! لَعَلَّكَ هُوَيْتَهَا فَأَرْسَلَهَا إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: لَا يَا عَمَّةَ لِكَيْبِي أَنْعَجِبُ مِنْهَا. فَقُلْتُ: وَمَا أَعْجَبُكَ؟ فَقَالَ: سَيَخْرُجُ مِنْهَا وُلْدٌ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يَمْلَأُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأْتَ جَوْراً وظُلماً. فَقُلْتُ: فَأَرْسَلَهَا إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: اسْتَأْذَنِي فِي ذَلِكَ أَبِي. قَالَتْ فَلَبِسْتُ ثِيَابِي وَأَتَيْتُ مَنْزِلَ أَبِي الْحَسَنِ فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ فَبَدَأَنِي وَقَالَ يَا حَكِيمَةَ ابْعَثِي بِنَرْجِسَ إِلَى ابْنِي أَبِي مُحَمَّدٍ. قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي عَلَى هَذَا فَصَدَّتْكَ أَنْ اسْتَأْذَنَكَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: يَا مُبَارَكَةَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَبُّ أَنْ يَشْرَكَكَ فِي الْأَجْرِ وَيَجْعَلَ لَكَ فِي الْخَيْرِ نَصيباً. قَالَتْ حَكِيمَةُ: فَلَمْ أَلْبَسْ أَنْ رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَرَبَيْتُهَا وَوَهَبْتُهَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ وَجَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فِي مَنْزِلِي فَأَقَامَ عِنْدِي أَيَّاماً ثُمَّ مَضَى إِلَى وَالِدِهِ، وَوَجَّهْتُ بِهَا مَعَهُ. قَالَتْ حَكِيمَةُ: فَمَضَى أَبُو الْحَسَنِ وَجَلَسَ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكَانَ وَالِدِهِ وَكُنْتُ أُرْوَرُهُ كَمَا كُنْتُ أُرْوَرُ وَالِدَهُ فَجَاءَنِي نَرْجِسُ يَوْمًا تَخْلَعُ حُفِي وَقَالَتْ يَا مَوْلَاتِي نَأولني حُفَكَ فَقُلْتُ بَلْ أَنْتِ سَيِّدَتِي وَمَوْلَاتِي وَاللَّهِ لَا دَفَعْتُ إِلَيْكَ حُفِي لِتَخْلَعِيهِ وَلَا خَدَمْتِي بَلْ

أَخَذُمَكِ عَلَى بَصْرِي فَسَمِعَ أَبُو مُحَمَّدٍ ذَلِكَ فَقَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا عَمَّةُ! فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ إِلَى وَقْتِ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَصَحْتُ بِالْجَارِيَةِ وَقُلْتُ: نَاوِلِينِي تِيَابِي لِأَنْصُرَفَ... الحديث»^(١).
توضيح: يتبين من هذه الرواية أن «حكيمة» كانت تعلم بالأمر قبل أن يتزوج الإمام الحسن العسكري من تلك الجارية، بل هي التي هيبتها له للزفاف، ولكن الروايتين الأوليين ذكرتا أنه عندما حملت الجارية بالمهدي لم تكن «حكيمة» تعلم بالقضية أصلاً! وهذا تناقض واضح.

وثانياً: جاء في هذه الرواية: «..قَالَتْ حَكِيمَةُ: فَصَضَى أَبُو الْحَسَنِ [الإمام علي النقي] وَجَلَسَ أَبُو مُحَمَّدٍ [الإمام الحسن العسكري] مَكَانَ وَالِدِهِ وَكُنْتُ أُرُورُهُ كَمَا كُنْتُ أُرُورُ وَالِدِهِ، فَجَاءَتْنِي نَرْجِسُ يَوْمًا تَخْلَعُ حُفْيَ..». أي أن حكيمة ذهبت صدفةً إلى منزل الإمام الحسن العسكري، في حين أن الروايتين الأوليين ذكرتا أن الإمام العسكري هو الذي نادى حكيمة وطلبها إليه وقال لها: «يَا عَمَّةُ! اجْعَلِي إِفْطَارَكَ اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا فَإِنَّهَا لَيْلَةُ النَّصَبِ مِنْ شَعْبَانَ..»، فهذا أيضاً تناقض جلي آخر.

ثالثاً: هذه الرواية تبين أن «نرجس» كانت جارية «حكيمة»، وأنه قبل أن يتزوجها الإمام الحسن العسكري لم تكن «حكيمة» تعلم أنها ستكون أم الإمام القائم، في حين أن الرواية الثالثة ذكرت أن الإمام علي النقي هو الذي عرف حكيمة بنرجس وقال لها: «هذه أم القائم!» فهذا تناقض واضح آخر أيضاً.

٥- الرواية الخامسة التي تناقض كل ما سبق: يرويها المجلسي في «بحار الأنوار» نقلاً عن كتاب «إكمال الدين» بسنده «عَنْ أَبِي عَلِيِّ الْخَيْرَرَانِيِّ عَنْ جَارِيَةٍ لَهُ كَانَ أَهْدَاهَا لِأَبِي مُحَمَّدٍ... قَالَ أَبُو عَلِيٍّ [الخيرراني] فَحَدَّثْتَنِي أَنَّهَا حَضَرَتْ وَلَادَةَ السَّيِّدِ وَأَنَّ اسْمَ امِّ السَّيِّدِ صَقِيلٌ وَأَنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ حَدَّثَهَا بِمَا جَرَى عَلَى عِيَالِهِ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا بِأَنْ يَجْعَلَ مِنْبَتَهَا قَبْلَهُ فَمَاتَتْ قَبْلَهُ فِي حَيَاةِ أَبِي مُحَمَّدٍ.»^(٢).

كيفية ولادة القائم!

توضيح: الروايات التي نذكرها هنا هي بقية الروايات التي ذكرناها بشأن أم الإمام القائم، حيث اقتصرنا هناك على ما يتعلق باسم أم القائم وأوصافها فيها، لكي نرى مدى التناقض في ذلك بينها. وهنا نكمل متون تلك الروايات لنرى تناقضاتها فيما تذكره بشأن كيفية ولادة القائم:

١- بقية الحديث الأول الذي أوردناه في الفقرة السابقة: «ثُمَّ جَلَسْتُ مُعَقَّبَةً ثُمَّ اضْطَجَعْتُ ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَرَعَةً وَهِيَ رَاقِدَةٌ ثُمَّ قَامَتْ فَصَلَّتْ قَالَتْ حَكِيمَةُ فَدَخَلْتَنِي الشُّكُوكُ فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ مِنَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ لَا تَعْجَلِي يَا عَمَّةُ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَدْ قَرُبَ قَالَتْ فَفَرَّأْتُ الْمِ السَّجْدَةَ وَيَسَ فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا انْتَبَهْتُ فَرَعَةً فَوَثَّبْتُ إِلَيْهَا فَقُلْتُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكَ ثُمَّ قُلْتُ لَهَا تَحْسِينِ شَيْئاً قَالَتْ نَعَمْ يَا عَمَّةُ فَقُلْتُ لَهَا اجْمَعِي نَفْسِكَ واجْمَعِي قَلْبِكَ فَهُوَ مَا قُلْتُ لَكَ قَالَتْ حَكِيمَةُ ثُمَّ أَخَذْتَنِي فِطْرَةً وَأَخَذْتُهَا فِطْرَةً فَأَنْتَبَهْتُ بِحَسِّ سَيْدِي فَكَشَفْتُ الثُّوبَ عَنْهُ فَإِذَا أَنَا بِهِ

(١) بحار الأنوار، ج ٥١/ ص ١١ - ١٢، حديث رقم ١٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥١/ ص ٥، حديث رقم ١٠.

سَاجِدًا يَتَلَقَى الْأَرْضَ بِمَسَاجِدِهِ فَضَمَمْتُهُ إِلَيَّ فَإِذَا أَنَا بِهِ نَظِيفٌ مُنْظَفٌ فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ هَلُمِّي إِلَيَّ ابْنِي يَا عَمَّةُ فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَيْهِ تَحْتَ أَلْيَتَيْهِ وَظَهَرَ وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ أَدْلَى لِسَانَهُ فِي فِيهِ وَأَمَرَ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمِعَهُ وَمَفَاصِلِهِ ثُمَّ قَالَ تَكَلَّمْ يَا بَنِي فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى الْأَيْمَةِ إِلَى أَنْ وَقَفَ عَلَى أَبِيهِ... الحديث»^(١).

توضيح: يظهر من هذه الرواية أن «حكيمة» لم تر ما حل بالطفل الوليد، إلى أن جاءت الإمام العسكري بالوليد في اليوم السابع لولادته. فلنقارن هذا بما ذكرته بقية الرواية الرابعة التي أوردناها في الفقرة الماضية:

«فَقَالَ: يَا عَمَّتَاهُ! بَيْتِي اللَّيْلَةَ عِنْدَنَا فَإِنَّهُ سَيُولَدُ اللَّيْلَةَ الْمَوْلُودُ الْكَرِيمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَلْتُمْ مَمَّنْ يَا سَيِّدِي وَلَسْتُ أَرَى بِنَرْجِسٍ شَيْئًا مِنْ أَثَرِ الْحَمْلِ. فَقَالَ: مِنْ نَرْجِسٍ لَا مِنْ غَيْرِهَا. قَالَتْ: فَوُتِبْتُ إِلَيَّ نَرْجِسٌ فَقَلْبْتُهَا ظَهْرًا لِبَطْنٍ فَلَمْ أَرِ بِهَا أَثْرًا مِنْ حَبْلِ فَعُدْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا فَعَلْتُ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ لِي: إِذَا كَانَ وَقْتُ الْفَجْرِ يَظْهَرُ لَكَ بِهَا الْحَبْلُ لِأَنَّ مِثْلَهَا مِثْلُ أُمِّ مُوسَى لَمْ يَظْهَرْ بِهَا الْحَبْلُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ^(٢) إِلَى وَقْتِ وَلادَتِهَا لِأَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَشْقُ بَطُونَ الْحَبَالِي فِي طَلَبِ مُوسَى وَهَذَا نَظِيرُ مُوسَى قَالَتْ حَكِيمَةٌ فَلَمْ أَزَلْ أُرْفُئُهَا إِلَيَّ وَقَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَهِيَ نَائِمَةٌ بَيْنَ يَدَيَّ لَا تَقْلِبُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَتَبَّتْ فِرْعَوْنَةَ فَضَمَمْتُهَا إِلَى صَدْرِي وَسَمَّيْتُ عَلَيْهَا فَصَاحَ أَبُو مُحَمَّدٍ وَقَالَ: أَفَرَيْتِ عَلَيْهَا إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. فَأَقْبَلْتُ أَقْرَأَ عَلَيْهَا وَقُلْتُ لَهَا: مَا حَالُكَ؟ قَالَتْ: ظَهَرَ الْأَمْرُ الَّذِي أَخْبَرَكَ بِهِ مَوْلَايَ. فَأَقْبَلْتُ أَقْرَأَ عَلَيْهَا كَمَا أَمَرَنِي فَأَجَابَنِي الْجَنِينُ مِنْ بَطْنِهَا يَقْرَأُ كَمَا أَقْرَأَ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. قَالَتْ حَكِيمَةٌ: فَفَزَعْتُ لِمَا سَمِعْتُ فَصَاحَ بِي أَبُو مُحَمَّدٍ: لَا تَعْجِبِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنْطِقُنَا بِالْحِكْمَةِ صَغَارًا وَيَجْعَلُنَا حُجَّةً فِي أَرْضِهِ كِبَارًا فَلَمْ يَسْتَمِ الْكَلَامَ حَتَّى غِيِبَتْ عَنِّي نَرْجِسٌ فَلَمْ أَرَهَا كَأَنَّهُ ضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابٌ فَعَدَوْتُ نَحْوَ أَبِي مُحَمَّدٍ وَأَنَا صَارِحَةٌ فَقَالَ لِي: ارْجِعِي يَا عَمَّةُ فَإِنَّكَ سَتَجِدِيهَا فِي مَكَانِهَا. قَالَتْ: فَرَجَعْتُ فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ كُشِفَ الْحِجَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَإِذَا أَنَا بِهَا وَعَلَيْهَا مِنْ أَثَرِ النُّورِ مَا عَشِيَّ بَصْرِي وَإِذَا أَنَا بِالصَّبِيِّ سَاجِدًا عَلَى وَجْهِهِ جَائِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ رَافِعًا سَبَابَتَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّ أَبِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ عَدَّ إِمَامًا إِمَامًا إِلَيَّ أَنْ بَلَغَ إِلَيَّ نَفْسِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْجِرْ لِي وَعَدِي وَأَنْمِمْ لِي أَمْرِي وَتَبِّتْ وَطَأْتِي وَأَمْلَأْ الْأَرْضَ بِي عَدْلًا وَفِسْطًا. فَصَاحَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ فَقَالَ: يَا عَمَّةُ! تَنَاوَلِيهِ فَهَاتِيهِ فَتَنَاوَلْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ نَحْوَهُ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ وَهُوَ عَلَى يَدَيَّ سَلَّمَ عَلَيَّ عَلَيْهِ فَتَنَاوَلْتُهُ الْحَسَنُ

(١) بحار الأنوار، ج ٥١/ص ٢-٣، حديث رقم ٣.

(٢) قوله إن أم موسى لم تظهر عليها آثار الحمل من الشواهد على كذب هذه الرواية، لأننا إذا رجعنا إلى «التوراة»، وإلى سفر الخروج (الآية ١٦ فما بعد) منها رأينا أن سبب بقاء «موسى» حياً كان خوف القابله (المولدة) من الله، وفيما يلي نص ذلك: «وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتِي الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّيْنِيْنَ اسْمُ إِخْدَاهُمَا شِفْرَةَ وَاسْمُ الْأُخْرَى فُوعَةُ ١٦ وَقَالَ: «جَيْمًا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكُرَاسِيِّ إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلَاهُ وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَخِيَا». ١٧ وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللَّهَ وَلَمْ تَفْعَلَا كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ بَلْ اسْتَخِيَّتَا الْأَوْلَادَ...» (المؤلف)

وَالطَّيْرُ تَرْفَرُ عَلَى رَأْسِهِ فَصَاحَ بِطَيْرٍ مِنْهَا فَقَالَ: لَهُ أَحْمَلُهُ وَاحْفَظْهُ وَرُدَّهُ إِلَيْنَا فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَتَنَاولَهُ الطَّائِرُ وَطَارَ بِهِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ وَأَتْبَعَهُ سَائِرُ الطَّيْرِ فَسَمِعَتْ أبا مُحَمَّدٍ يَقُولُ: اسْتَوْدَعَكَ الَّذِي اسْتَوْدَعْتَهُ أُمُّ مُوسَى فَبَكَتْ تَرْجِسُ فَقَالَ لَهَا اسْكُتِي فَإِنَّ الرِّضَاعَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ تَدْيِكَ وَسِبْعَادُ إِلَيْكَ كَمَا رَدَّ مُوسَى إِلَى أُمِّهِ^(١) وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ قَالَتْ: حَكِيمَةٌ فَقُلْتُ مَا هَذَا الطَّائِرُ؟ قَالَ: هَذَا رُوحُ الْفُدْسِ الْمُوَكَّلُ بِالْأَيْمَةِ يُوفِّقُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ وَيُرَبِّبُهُمْ بِالْعِلْمِ. قَالَتْ حَكِيمَةٌ: فَلَمَّا أَنْ كَانَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا رَدَّ الْغُلَامُ وَوَجَّهَ إِلَيَّ ابْنَ أَخِي. فَدَعَانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا أَنَا بِصَبِيِّ مُتَحَرِّكٍ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ: سَيِّدِي هَذَا ابْنُ سَنَّتَيْنِ!! فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ إِذَا كَانُوا أَيْمَةً يَنْشُتُونَ بِخِلَافِ مَا يَنْشَأُ غَيْرُهُمْ، وَإِنَّ الصَّبِيَّ مِمَّا إِذَا أَتَى عَلَيْهِ شَهْرٌ كَانَ كَمَنْ يَأْتِي عَلَيْهِ سَنَةٌ، وَإِنَّ الصَّبِيَّ مِمَّا لَيْتَكَلَّمُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْبُدُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعِنْدَ الرِّضَاعِ طَبِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ كُلُّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ.... الْحَدِيثُ^(٢).

توضيح: من هذه الرواية يظهر أن الولد أعطي لطانر وأن الطائر أخذه أربعين يوماً وأن هذا الأمر تم منذ ابتداء ولادته في حين أن الرواية السابقة قالت إن «حكيمة» ذهبت في اليوم السابع ورأت الطفل! فهذا تناقض واضح وصارخ بين الروايتين! والآن لنر ما جاء في بقية الرواية الثانية التي نقلها المجلسي في «بحار الأنوار» عن كتاب «الغيبية» للشيخ الطوسي:

تقول «حكيمة»: «بَعَثَ إِلَيَّ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ سَنَةَ ٢٥٥ هـ فِي النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَقَالَ: يَا عَمَّةُ! اجْعَلِي اللَّيْلَةَ إِفْطَارِكِ عِنْدِي فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَسْرُكُ بِوَلِيِّهِ وَحُجَّتِهِ عَلَى خَلْقِهِ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي. قَالَتْ: حَكِيمَةٌ فَتَدَاخَلَنِي لِذَلِكَ سُرُورٌ شَدِيدٌ وَأَخَذْتُ نِيَابِي عَلَيَّ وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي صَحْنِ دَارِهِ وَجَوَارِيهِ حَوْلَهُ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا سَيِّدِي الْخَلْفُ مِمَّنْ هُوَ قَالَ مِنْ سَوْسَنٍ فَادْرُتُ طَرْفِي فِيهِنَّ فَلَمْ أَرْ جَارِيَةً عَلَيْهَا أَنْزُرٌ غَيْرَ «سَوْسَنٍ»! قَالَتْ حَكِيمَةٌ: فَلَمَّا أَنْ صَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْأَخْرَةَ أَتَيْتُ بِالْمَائِدَةِ فَأَفْطَرْتُ أَنَا وَسَوْسَنٌ وَبَابَيْتُهَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَعَفَوْتُ عَفْوَةً ثُمَّ اسْتَبَقْتُ فَلَمْ أَزَلْ مُفَكَّرَةً فِيمَا وَعَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ أَمْرِ وَلِيِّ اللَّهِ فَقُمْتُ قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي كُنْتُ أَفُومُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ اللَّيْلِ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى الْوَتْرِ فَوَتَيْتُ «سَوْسَنَ» فَرَعَةً وَخَرَجْتُ وَأَسْبَعْتُ الْوُضُوءَ ثُمَّ عَادْتُ فَصَلَّيْتُ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَبَلَغْتُ إِلَى الْوَتْرِ فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَنَّ الْفَجْرَ قَدْ قَرُبَ فَقُمْتُ لِأَنْظُرَ فَإِذَا بِالْفَجْرِ الْأَوَّلِ قَدْ طَلَعَ فَتَدَاخَلْتُ قَلْبِي الشُّكُّ مِنْ وَعْدِ أَبِي مُحَمَّدٍ فَتَدَانِي مِنْ حُجْرَتِهِ: لَا تَسْكِي وَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ السَّاعَةَ قَدْ رَأَيْتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَتْ حَكِيمَةٌ: فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ وَمِمَّا وَقَعَ فِي قَلْبِي وَرَجَعْتُ إِلَى الْبَيْتِ وَأَنَا خَجَلَةٌ فَإِذَا هِيَ قَدْ قَطَعَتِ الصَّلَاةَ وَخَرَجْتُ فَرَعَةً فَلَقِيْتُهَا عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي هَلْ تَحْسِبِينَ شَيْئًا. قَالَتْ: نَعَمْ يَا عَمَّةُ إِنِّي لِأَجِدُ أَمْرًا شَدِيدًا، قُلْتُ: لَا خَوْفَ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) ينبغي أن نعلم أنه طبقاً لما جاء في القرآن الكريم وكذلك في نص التوراة، وضعت أم موسى ابنها في صندوق ووضعتة في نهر النيل فالتقطه آل فرعون وأتوا به منزل فرعون، ثم حرم الله عليه المراضع فجاءت أم موسى فأرضعته، وردَّه الله تعالى إليها بهذه الطريقة، وليس في واقع القصة أن أم موسى عهدت بوليدها إلى طائر، ولا نكز لطانر أصلاً في ذلك الموضوع. (المؤلف)

(٢) بحار الأنوار، ج ٥١/ص ١٣ - ١٤، حديث رقم ١٤.

وَأَخَذْتُ وَسَادَةً فَأَلْقَيْتُهَا فِي وَسْطِ الْبَيْتِ وَأَجْلَسْتُهَا عَلَيْهَا وَجَلَسْتُ مِنْهَا حَيْثُ تَقْعُدُ الْمَرْأَةُ مِنَ الْمَرْأَةِ لِلْوَلَادَةِ فَقَبِضْتُ عَلَى كَفِّي وَعَمَرْتُ عَمْرَةً شَدِيدَةً ثُمَّ أَنْتَ أَنْتَ وَتَشَهَّدَتْ وَنَظَرْتُ تَحْتَهَا فَإِذَا أَنَا بِوَلِيِّ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُتَّقِيًا الْأَرْضَ بِمَسَاجِدِهِ فَأَخَذْتُ بِكَتْفِيهِ فَأَجْلَسْتُهُ فِي حَجْرِي وَإِذَا هُوَ تَطْيِيفٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ فَنَادَانِي أَبُو مُحَمَّدٍ: يَا عَمَّةُ هَلْمِي فَأَتَيْتَنِي بِابْنِي فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَتَنَاوَلَهُ وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ فَمَسَحَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ فَفَتَحَهَا ثُمَّ أَدْخَلَهُ فِي فِيهِ فَحَنَكَهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَأَجْلَسَهُ فِي رَاحَتِهِ الْيُسْرَى فَاسْتَوَى وَلِيُّ اللَّهِ جَالِسًا فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا بَنِي أَنْطِقْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ فَاسْتَعَاذَ وَلِيُّ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَاسْتَفْتَحَ: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ» (القصص/٥-٦). وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأئِمَّةِ وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِيهِ فَتَنَاوَلَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ وَقَالَ: يَا عَمَّةُ! رُدِّيهِ إِلَى أُمِّهِ حَتَّى تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ فَرَدَدْتُهُ إِلَى أُمِّهِ وَقَدْ انْفَجَرَ الْفَجْرُ الثَّانِي فَصَلَّيْتُ الْفَرِيضَةَ وَعَقَبْتُ إِلَيْ أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ وَدَعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ وَانصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِ اشْتَقْتُ إِلَى وَلِيِّ اللَّهِ فَصَرْتُ إِلَيْهِمْ فَبَدَأْتُ بِالْحُجْرَةِ الَّتِي كَانَتْ «سَوَسَنَ» فِيهَا فَلَمْ أَرِ أَثَرًا وَلَا سَمِعْتُ ذِكْرًا فَكْرَهْتُ أَنْ أَسْأَلَ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَبْدَأَهُ بِالسُّؤَالِ فَبَدَأَنِي فَقَالَ: يَا عَمَّةُ! فِي كَنَفِ اللَّهِ وَجِزْرِهِ وَسُتْرِهِ وَعَيْنِهِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ... (الحديث)»^(١).

توضيح: في هذه الرواية أم الأمام هي «سوسن» وكان عليها أثر الحمل، أما في الروايات الأخرى فأم الإمام «نرجس» ولم يكن عليها أثر الحمل! فهذا تناقض واضح أول. وأما التناقض الواضح الثاني بين هذه الرواية والرواية السابقة فهو أن هذه الرواية تذكر أن الإمام غاب منذ اليوم الثالث أما الرواية السابقة فتذكر أن الإمام أعطي إلى طائر منذ أول يوم لولادته فغاب معه أربعين يوماً، وفي الرواية الأخرى ذكر أن «حكيمة» ورات الطفل في اليوم السابع لولادته!

أما الرواية الأخرى التي رواها المجلسي في «بحار الأنوار» نقلاً عن كتاب «الغيبية» للشيخ الطوسي عن «محمد بن إبراهيم» أن السيدة «حكيمة» قالت: «بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ قَالَتْ وَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَنْ أُمُّهُ قَالَ نَرْجِسُ قَالَتْ فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ اشْتَدَّ شَوْقِي إِلَى وَلِيِّ اللَّهِ فَأَتَيْتُهُمْ عَائِدَةً فَبَدَأْتُ بِالْحُجْرَةِ الَّتِي فِيهَا الْجَارِيَةُ فَإِذَا أَنَا بِهَا جَالِسَةً فِي مَجْلِسِ الْمَرْأَةِ النَّفْسَاءِ وَعَلَيْهَا أَثْوَابٌ صُفْرٌ وَهِيَ مُعَصَّبَةٌ الرَّأْسِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا وَالتَّقْتُ إِلَى جَانِبِ الْبَيْتِ وَإِذَا بِمَهْدٍ عَلَيْهِ أَثْوَابٌ خُضْرٌ فَعَدَلْتُ إِلَى الْمَهْدِ وَرَفَعْتُ عَنْهُ الْأَثْوَابَ فَإِذَا أَنَا بِوَلِيِّ اللَّهِ نَائِمٌ عَلَى قَفَاهُ غَيْرَ مَحْرُومٍ وَلَا مَقْمُوطٍ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَعَلَ يَضْحَكُ وَيُنَاجِيَنِي بِاصْبِعِهِ فَتَنَاوَلْتُهُ وَأَدْنَيْتُهُ إِلَى فَمِي لِأَقْبِلُهُ فَشَمَمْتُ مِنْهُ رَائِحَةً مَا شَمَمْتُ قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا وَنَادَانِي أَبُو مُحَمَّدٍ يَا عَمَّتِي هَلْمِي فَتَنَاوَلْتُهُ وَقَالَ يَا بَنِي أَنْطِقْ... (الحديث)»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٥١/ ص ١٧ - ١٨، حديث رقم ٢٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١/ ص ١٩، حديث رقم ٢٦.

توضيح: كما رأينا جاء في هذه الرواية أن «حكيمة» ذهبت في اليوم الثالث لرؤية الطفل حديث الولادة وأنها دخلت غرفة «نرجس» ووجدت الطفل في المهد، في حين أن الرواية السابقة ذكرت أن «حكيمة» ذهبت إلى غرفة نرجس في اليوم الثالث لولادتها فلم تر الطفل فلما استفسرت من الإمام العسكري قال لها: «يَا عَمَّةُ! فِي كَنَفِ اللَّهِ وَجِزْرِهِ وَسْتَرِهِ وَعَيْنِهِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ». فهذا تناقض واضح.

إلى هنا ذكرنا بعض الروايات المذكورة في «بحار الأنوار» بشأن أم إمام الزمان وكيفية ولادته. وقبل أن ننهي هذا المبحث نوذ أن نلاحظ بعض الأمور التي وردت في متون تلك الروايات، التي يعتقد الشيعة بصحتها، ونعلق عليها:

يظهر من الرواية الثالثة أن الإمام علي النقي يعلم الغيب وما سيقع في المستقبل، حيث قال لخدمته «كافور» اذهب وافعل كذا وكذا وستجد تلك الأمة في السفينة فقل كذا وافعل كذا.. الخ، هذا في حين أن مثل هذا الأمر لا يصح لأن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان/٣٤).

وإذا رأينا في القرآن أن الله تعالى يخبرنا بأنه في بضع سنين - أي بعد ٣ إلى ٩ سنوات - ستقع حرب بين إيران والروم وسينتصر فيها الروم على الفرس فهذا لأن الله خالق المستقبل ويعلم به، وقد أطلع نبيه الكريم على ذلك. أو قال تعالى مثلاً في سورة الجن: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ (الجن/٢٥)، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن/٢٦-٢٧).

فهذه الآيات الكريمة تدل على أن الله تعالى يطلع من يشاء من أنبيائه ورسوله على الغيب، ولكن بما أن الإمام علي النقي لم يكن لا نبياً ولا رسولاً فلا تشمل هذه الآية، بل يشملها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا...﴾ (لقمان/٣٤)، فنسبة علم الغيب إلى الإمام دليل آخر - يُضاف إلى ما ذكرناه من أدلة - على كذب تلك الروايات.

والأمر الثاني أن تلك الروايات ذكرت أن الإمام المهدي «حجة الله على عباده» والشيعة تؤمن فعلاً بهذا الأمر، هذا في حين أن الله تعالى يبين لنا في القرآن أنه أتم الحجة على الناس برسوله وأنه باحتمام الرسل تَمَّتْ حُجَّةُ اللَّهِ وَانْتَهَتْ: قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٦٥). وإذا تدبرنا الآية التي جاءت قبل هذه الآية مباشرة وجدناها تقول:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/١٦٣-١٦٥].

فهذه الآيات تبين بوضوح أن الله تعالى أتم الحجة على عباده برسوله وبواسطة كتبهم وتعاليمهم، وقد جاء نحو ذلك في الخطبة رقم ٩٠ المعروفة باسم «خطبة الأشباح» في «نهج البلاغة» ونصه:

«فَأَهْبِطَهُ [أي آدم عليه السلام] بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى

عِبَادِهِ وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبِضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ
بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحَجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنَا فَقَرْنَا
حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) حُجَّتُهُ وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ عُذْرَهُ وَنُدْرَهُ».

أما عقلاً: فإذا قلنا إن حجة الله بين المسلمين اليوم هي كتاب الله (القرآن) نكون قد قلنا
صواباً، لا سيما أن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ.....﴾ (الحديد/٢٥).

فإن قيل: إن إمام الزمان «حجة الله»، قلنا: إن الآيات والأحاديث تقول خلاف ذلك،
ونقول عقلاً أيضاً: لماذا يخفي الله تعالى حجته عن الأنظار؟ أليست سنة الله في عباده –
كما تبينها آيات القرآن الكريم – أن يتم حجته على الناس بكل وضوح وجلاء؟ وأنه قد بدأ
بإتمام حجته بإرسال الأنبياء وانتهت حجته بخاتمهم سيدنا محمد ﷺ؟ ثم إنه كيف يعذب الله
تعالى الناس إن لم يؤمنوا بهذه الحجة (أي الإمام القائم)؟ أفلا يحق لهم أن يقولوا يوم
القيامة: يا رب! لقد كانت حجتك غائبة فمن أين لنا أن نعلم أنها كانت موجودة فعلاً؟؟.

ثم إننا لاحظنا أن جميع الروايات السابقة مروية عن السيدة «حكيمية» عمة الإمام
الحسن العسكري ورأينا أنها متناقضة يكذب بعضها بعضاً وتتضمن أموراً تخالف القرآن
الكريم، فليت شعري كيف يؤاخذ الله من لم يؤمن بمثل هذه الحجة المستندة إلى مثل هذه
الروايات المتناقضة المخالفة للكتاب!؟

هذا في حين أننا نعلم - طبقاً لما ذكره «النوبختي» المتوفى سنة ٣٠١ هـ والذي أدرك
ثلاثة من الأئمة - أن الشيعة انقسمت بعد وفاة الإمام الحسن العسكري إلى أربع عشرة
فرقة:

١- فرقة قالت: إن الحسن بن علي حي لم يموت وإنما غاب وهو القائم ولا يجوز أن
يموت الإمام ولا ولد له ولا خلف معروف ظاهر...

٢- وفرقة قالت: إن الحسن بن علي قد صحّت وفاته كما صحّت وفاة آبائه بتواطؤ
الأخبار التي لا يجوز تكذيب مثلها، وصح بمثل هذه الأسباب أنه لا خلف له، فلما صح
عندنا الوجهان ثبت أن لا إمام بعد الحسن بن علي وأن الإمامة انقطعت، وذلك جائز في
المعقول والقياس، فكما جاز أن تنقطع النبوة بعد محمد فلا يكون بعده شيء، كذلك جاز أن
تنقطع الإمامة.

٣- وفرقة أخرى قالت: أن الحسن بن علي قد مات. وصح موته ولا خلف له وانقطعت
الإمامة إلى وقت يبعث الله فيه قائماً من آل محمد ممن قد مضى، إن شاء بعث الحسن بن علي
وإن شاء بعث غيره من آبائه.

٤- وقالت فرقة: إن الحسن بن علي توفي ولا عقب له والإمام بعده جعفر بن علي
أخوه، وذهبوا في ذلك إلى بعض مذاهب الفطحية في عبد الله وموسى ابني جعفر.

٥- وقالت فرقة بمثل مقالة الفطحية أن الحسن بن علي توفي وهو إمام بوصية أبيه
إليه، وأن الإمامة لا تكون إلا في الأكبر من ولد الإمام، ممن بقي منهم بعد أبيه فالإمام بعد
الحسن بن علي: جعفر أخوه، لا يجوز غيره إذ لا ولد للحسن معروف ولا أخ إلا جعفر
في وصية أبيه، كما أوصى جعفر بن محمد (أي الصادق) إلى عبد الله لمكان الأكبر ثم

جعلها من بعد عبد الله لموسى أخيه.

٦- وقالت فرقة: لا ولد للحسن بن علي أصلاً لأننا تبحرنا ذلك بكل وجه وفتشنا عنه سرا وعلانية، وبحثنا عن خبره في حياة الحسن بكل سبب فلم نجده، ولو جاز أن يقال في مثل الحسن بن علي وقد توفي ولا ولد له ظاهر معروف، أن له ولداً مستوراً، لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت من غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلوات الله عليه أن يقال خلف ابنا رسولاً نبياً، ولجاز أن تدعى الفطحية أن لعبد الله بن جعفر ولداً ذكراً إماماً! ٧- وقالت فرقة: نحن لا ندري ما نقول في ذلك وقد اشتبه علينا الأمر فلسنا نعلم أن للحسن بن علي ولداً أم لا؟ أم الإمامة صحت لجعفر أم لمحمد؟ وقد كثر الاختلاف. إلا أننا نقول أن الحسن بن علي كان إماماً مفترض الطاعة ثابت الإمامة، وقد توفي وصحت وفاته، والأرض لا تخلو من حجة، فنحن نتوقف ولا نقدم على القول بإمامة أحد بعده، ولا ننكر إمامة أبي محمد ولا موته، ولا نقول أنه رجع بعد موته ولا نقطع على إمامة أحد من ولد غيره، ولا ننتميه حتى يظهر الله الأمر إذا شاء ويكشف ويبينه لنا^(١).

وعلي أي حال كان هذا حال شيعة الإمام الحسن العسكري في زمنه، وتلك كانت عقيدتهم بشأن ابن الإمام الحسن العسكري، رغم أنهم كانوا معاصرين له، فما بالك بحال من جاء بعدهم إذن؟؟ فهل هكذا تكون حجة الله على عباده؟؟

ثم نسأل: ما هي فائدة مثل هذه الحجة؟؟ ما الهداية والإرشاد المرتجى من مثل هذه الحجة؟؟ ثم لماذا لا نجد أي ذكر في القرآن الكريم لهذا الإمام المحبوب الغائب؟؟ فهل الإيمان بالمهدي الذي يجب - حسب قولهم - أن يعيش المؤمنون في كل لحظة في انتظار خروجه، أقل أهمية من الإيمان برجال عاشوا في الماضي ومضت على وفاتهم قرون متمادية مثل لقمان وذو القرنين، حتى يذكرهم الله في القرآن ولا يأت على إمام الشيعة بذكر؟؟!! هل طريقة الكتاب في هداية الناس أن يوضح بالتفصيل الأمور ذات الأهمية الأقل، ويكتفم الأمور ذات الأهمية الأكثر والأخطر!!

تاريخ ولادته

يروى الشيخ الصدوق في كتاب «إكمال الدين» عن «عقيد الخادم» أن ابن الإمام الحسن العسكري ولد في ليلة الجمعة من شهر رمضان سنة ٢٥٤هـ، ولكنه يروي في الكتاب ذاته عن السيدة «حكيمه» أن ولادته كانت في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ. وهناك رواية أخرى في الكتاب ذاته تقول إن إمام الزمان ولد في الثامن شهر شعبان سنة ٢٥٦هـ. أما بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي الموصلية (٦٩٣هـ) فقال في كتابه «كشف الغمة» إن ولادة الإمام كانت في الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ٢٥٨هـ!

كيفية نموه

أورد المجلسي في «بحار الأنوار» عدة روايات حول النمو الخارق للعادة لهذا الإمام

(١) انظر النوبختي، فرق الشيعة، وسعد بن عبد الله الأشعري، المقالات والفرق.

المختَرع، فأولاً: هي روايات متناقضة يكذب بعضها بعضاً. وثانياً: هي روايات تخالف القرآن والكتب السماوية وتخالف العقل. مثلاً تنقل إحدى تلك الروايات عن السيدة «حكيمه» قولها: «فَلَمَّا أَنْ كَانَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً رُدَّ الْعُلَامُ وَوَجَّهَ إِلَيَّ ابْنُ أَخِي [أي الإمام الحسن العسكري]. فَدَعَانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا أَنَا بِصَبِيٍّ مُتَحَرِّكٍ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ! فَقُلْتُ: سَيِّدِي هَذَا ابْنُ سَنَتَيْنِ!! فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَوْلَادَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ إِذَا كَانُوا أَيْمَةً يَنْسُونُ بِخِلَافِ مَا يَنْشَأُ غَيْرُهُمْ، وَإِنَّ الصَّبِيَّ مِمَّا إِذَا آتَى عَلَيْهِ شَهْرٌ كَانَ كَمَنْ يَأْتِي عَلَيْهِ سَنَةٌ...».

ويروي المجلسي في «بحار الأنوار» رواية أخرى جاء فيها: «فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ فَإِذَا مَوْلَانَا الصَّاحِبُ يَمْشِي فِي الدَّارِ فَلَمْ أَرَ وَجْهًا أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ وَلَا لُغَةً أَفْصَحَ مِنْ لُغَتِهِ. فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: هَذَا الْمَوْلُودُ الْكَرِيمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَقُلْتُ: سَيِّدِي أَرَى مِنْ أَمْرِهِ مَا أَرَى وَلَهُ أَرْبَعُونَ يَوْماً!! فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: يَا عَمَّتِي! أَمَا عَلِمْتَ أَنَا مَعَاشِرَ الْأَيْمَةِ نَنْشَأُ فِي الْيَوْمِ مَا يَنْشَأُ غَيْرُنَا فِي السَّنَةِ...»^(١).

وقد وردت روايات عديدة من هذا القبيل نضرب صفحاً عن ذكرها كي لا نكرّر المكررات.

ونقول في الإجابة عنها: إذا نظرنا إلى التوراة رأينا أنه ذكر في سفر الخروج/ الإصحاح الثاني، الآية ١: «١ وَذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَأَوِي وَأَخَذَ بِنْتًا لَأَوِي ٢ فَحَبَلَتْ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ حَبَّأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ٣ وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُحَبِّبَهُ بَعْدَ أُخَذَتْ لَهُ سَفْطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ وَطَلَّتْهُ بِالْحَمْرِ وَالرِّفْتِ وَوَضَعَتْ الْوَلَدَ فِيهِ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحُقَفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ...».

فهذا يبين أن موسى بقي لدى أمه ثلاثة أشهر قبل أن تضعه في صندوق وتلقيه في اليم. أما لو قبلنا بالروايتين المذكورتين فمعنى ذلك أنه طبقاً للرواية الأولى ينبغي أن يكون موسى قد أصبح ابن ثلاث سنين عندما وضعت أمه في الصندوق! وطبقاً للرواية الثانية ينبغي أن يكون قد أصبح ابن أربعين عاماً عند ذلك!! ودعنا نأخذ بالرواية ذات الزمن الأقل ونقول لما وصل موسى إلى بلاط فرعون كان ابن ثلاث سنين وبضعة أيام، ففي مثل هذه السن لم يكن بحاجة إلى حليب الأم مع أننا نعلم أن الله تعالى صنع له تدبيراً رده من خلاله إلى أمه لتقوم بإرضاعه، بعد أن التقطه آل فرعون، فمعنى هذا أن موسى كان ينمو مثل نمو سائر الأطفال العاديين، مما يثبت خطأ تلك الروايات، وعدم صحتها.

ونأتي بدليل آخر: نعلم أن الإمام الحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والإمام الحسين ولد في السنة الرابعة للهجرة، ووقعت حادثة المباهلة – كما يرويها الشيعة – في السنة العاشرة للهجرة، أي عندما كان للإمام الحسن سبع سنوات من العمر، وللإمام الحسين ست سنوات. فلنر الآن كيف كان نموهما؟ هل كانا – حسب ما تذكره تلك الروايات ابني ثلاثين أو أربعين عاماً؟ أم كانا لا يزالان طفلين؟ إذا رجعنا إلى كتاب «منتهى الآمال» للشيخ عباس القمي الشيعي رأينا يروي لنا قصة المباهلة كما يلي: «فقدم حضرة الرسول ﷺ إلى بيت حضرة أمير المؤمنين فجراً وأخذ بيد الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام وكان أمير

(١) بحار الأنوار ج ٥١/ص ٢٠، ح ٢٧.

المؤمنين يتقدمه وحضرة فاطمة عليها السلام خلفه». ويوجد الكثير من مثل هذه الشواهد وقد استشهدنا بقصة المباهلة لأنها مقبولة ومشهورة لدى الشيعة، فاستدللنا عليهم بما يقبلون به. فمن هذه الروايات يتبين أن الحسن والحسين كانا طفلين وكان نموها مثل نمو سائر البشر، وبالتالي فجميع الروايات التي تقول إن نمو المهدي كان نمواً غير عادي روايات موضوعة من أساسها.

مسألة الرجعة

إحدى المسائل التي تعتقد بها الشيعة الإمامية مسألة «الرجعة»، والتي تعني أن هناك جماعة من الأموات سوف يعودون إلى الحياة في هذه الحياة الدنيا وقبل يوم القيامة، وذلك في زمن ظهور الإمام المهدي. وسنذكر فيما يلي بعض الأحاديث التي رواها المجلسي في «بحار الأنوار» في هذا الصدد ثم نعلق عليها وننقدها: أورد المجلسي في «بحار الأنوار»، في الباب الثالث والثلاثين من المجلد الثالث عشر رواية طويلة ومفصلة حول هذا الموضوع، وسنذكر هذه الرواية بطولها كما وردت ترجمتها في كتاب «مهدي موعود» [بالفارسية]، وذلك لكي يدرك القارئ الكريم - بعد معرفته كذب هذه الرواية عندما يقرأ نقدنا لها - كيف يقوم الكذبة بتطويل ما يروونه من أخبار وكيف يلفقون الأكاذيب حتى يتوهم الناس أن ما يروونه حقائق واقعية! قال المجلسي:

«رُويَ فِي بَعْضِ مُؤَلَّفَاتِ أَصْحَابِنَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ عَنْ أَبِي شُعَيْبٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ نُصَيْرٍ (١) عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْفَرَاتِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُفَضَّلِ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ (٢) قَالَ: سَأَلْتُ سَيِّدِي الصَّادِقَ هَلْ لِلْمَأْمُورِ الْمُنتَظَرِ الْمَهْدِيِّ مِنْ وَقْتٍ مُوقَّتٍ يَعْلَمُهُ النَّاسُ؟ فَقَالَ: حَاشَ لِلَّهِ أَنْ يُوقَّتَ ظُهُورُهُ بِوَقْتٍ يَعْلَمُهُ شَيْعَتُنَا. قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! وَلِمَ ذَلِكَ؟! قَالَ: لِأَنَّهُ هُوَ السَّاعَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيها لَوْفِها إِلَّا هُوَ

(١) «محمد بن نصير» ملعون على لسان الإمام علي بن محمد النقي [الإمام الهادي]، ووصفه علماء رجال الشيعة بأنه «غال» وأنه «بصري ضعيف»، وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص ٢٧٣ - ٢٧٤): «كان من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام فلما مات ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب الزمان وادعى النيابة ففضحه الله تعالى. قال سعد بن عبد الله: كان محمد بن نصير النميري يدعى أنه رسول نبي وأن علي بن محمد [الهادي] أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالرؤية».

(٢) قال النجاشي (٤٥٠ هـ)، في رجاله [طبع قم، ١٤٠٧ هـ، ص ٤١٦]: «المفضل بن عمر أبو عبد الله وقيل أبو محمد، الجعفي، كوفي، فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يُعاب به. وقيل إنه كان خطيباً. وقد ذُكرت له مصنفات لا يُعول عليها». وذكر العلامة الحلي والممقاني وآخرون أنه كان يحدث بمكرات وأحاديث كذب موضوعة وكان خطيباً. ووصفه أحمد بن الحسين بن الغضائري (قيل ٤٥٠ هـ) في رجاله [ط ٢، قم، مؤسسه اسماعيليان، ١٣٦٤ هـ شمسي، ج ٦/ص ١٣١] بقوله: «المفضل بن عمر الجعفي أبو عبد الله، ضعيف متهافت مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شيء كثير وحمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً، ولا يجوز أن يكتب حديثه وروى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام».

تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... (الآية)»^(١)

«وَهُوَ [أَيِ الْمُنْتَظَرِ الْمَهْدِيِّ] السَّاعَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (الأعراف/١٨٧) وَقَالَ ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان/٣٤] وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهَا عِنْدَ أَحَدٍ وَقَالَ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا... (الآية)﴾ [محمد/١٨] وَقَالَ: ﴿اقتربت الساعة وأنشأ القمر﴾ [القمر/١] وَقَالَ: ﴿... و ما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق إلا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ [الشورى/١٧-١٨].»

«قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى يَمَارُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ مَتَى وَلِدَ وَمَنْ رَأَى وَأَيُّنَ يَكُونُ وَمَتَى يَظْهَرُ وَكُلُّ ذَلِكَ اسْتِعْجَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَشَكًّا فِي قَضَائِهِ وَدُخُولًا فِي قُدْرَتِهِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَإِنَّ لِلْكَافِرِينَ لَشَرًّا مَآبًا.»

«قُلْتُ: أَفَلَا يُوقِتُ لَهُ وَقْتًا؟ فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ! لَا أَوْقِتُ لَهُ وَقْتًا وَلَا يُوقِتُ لَهُ وَقْتًا إِنَّ مَنْ وَقَّتَ لِمَهْدِيْنَا وَقْتًا فَقَدْ شَارَكَ اللَّهَ تَعَالَى فِي عِلْمِهِ وَادَّعَى أَنَّهُ ظَهَرَ عَلَيَّ سِرَّهُ وَمَا لِلَّهِ مِنْ سِرٍّ إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ إِلَى هَذَا الْخَلْقِ الْمَعْكُوسِ الضَّالِّ عَنِ اللَّهِ الرَّاعِبِ عَنِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَمَا لِلَّهِ مِنْ خَبْرٍ إِلَّا وَهُمْ أَخْصُ بِهِ لِسِرِّهِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ وَإِنَّمَا أَلْقَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ لِيَكُونَ حُجَّةً عَلَيْهِمْ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا مَوْلَايَ! فَكَيْفَ بَدَأَ ظُهُورَ الْمَهْدِيِّ وَالْيَهُ التَّسْلِيمِ؟

قَالَ: يَا مُفَضَّلُ! يَظْهَرُ فِي شُبْهَةِ لَيْسَتَيْنِ فَيَعْلُو ذِكْرُهُ وَيَظْهَرُ أَمْرُهُ وَيُنَادِي بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَسَبِهِ وَيَكْتُمُ ذَلِكَ عَلَى أَفْوَاهِ الْمُحِقِّينَ وَالْمُبْطِلِينَ وَالْمُؤَافِقِينَ وَالْمُخَالَفِينَ لِنَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ بِمَعْرِفَتِهِمْ بِهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَصَصْنَا وَدَلَّلْنَا عَلَيْهِ وَنَسَبْنَا وَسَمَّيْنَاهُ وَكُنْيْنَاهُ وَقُلْنَا سَمِيَّ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكُنْيَتُهُ لِنَلَّا يَقُولَ النَّاسُ مَا عَرَفْنَا لَهُ اسْمًا وَلَا كُنْيَةً وَلَا نَسَبًا، وَاللَّهُ لَيَتَحَقَّقُ الْإِيضَاحُ بِهِ وَبِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ وَكُنْيَتِهِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ حَتَّى لَيْسَمِيَهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كُلُّ ذَلِكَ لِلزُّومِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَظْهَرُ اللَّهُ كَمَا وَعَدَ بِهِ جَدُّهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣٣).

قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا مَوْلَايَ! فَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾؟؟

قَالَ: هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال/٣٩) فَوَاللَّهِ يَا مُفَضَّلُ لَيُرْفَعُ عَنِ الْمَلِكِ وَالْأَدْيَانِ الْإِخْتِلَافُ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ وَاحِدًا كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران/١٩). وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/٨٥).»

توضيح: لقد تكلمنا على استدلالهم بآية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة/٣٣) أثناء مناقشتنا للآيات التي يستدلون بها على المهدي، أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ فنقول

(١) حديث المفضل بن عمرو الطويل هذا أورده المجلسي في «بحار الأنوار»، الطبعة الجديدة ذات ال ١١٠ أجزاء، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤ هـ، ج ٥٣ ص ١ إلى ١٤.

ليس المقصود من «الإسلام» دين محمد ﷺ فقط، كما أنه ليس المقصود أن جميع الأديان دينٌ واحدٌ، بل المقصود من الإسلام هنا معناه اللغوي وهو التسليم لحكم الله تعالى (وإسلام الوجه لله والانقياد لأمره)، وبهذا النحو كان أتباع عيسى الذي أسلموا وجههم لله مسلمين، وأتباع موسى كذلك، وفي الواقع إن بقية الرواية تؤيد هذا الأمر:

«قَالَ الْمُفَضَّلُ: قُلْتُ: يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ! وَالَّذِينَ الَّذِينَ فِي آبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ الْإِسْلَامُ؟

قَالَ: نَعَمْ يَا مُفَضَّلُ هُوَ الْإِسْلَامُ لَا غَيْرُ.

قُلْتُ: يَا مَوْلَايَ! أَتَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟

قَالَ: نَعَمْ مِنْ أَوْلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمِنْهُ هَذِهِ الْآيَةُ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران/١٩) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (مَلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ) (الحج/٧٨). وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) (البقرة/١٢٨). وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ: (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمْنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يونس/٩٠). وَفِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ وَبَلْقَيْسَ: (قَبِلَ أَنْ يَأْتُونَني مُسْلِمِينَ) (النمل/٣٨). وَقَوْلُهَا: (أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل/٤٤).

وَقَوْلُ عِيسَى: (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ) وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ: (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا) وَقَوْلُهُ فِي قِصَّةِ لُوطٍ: (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وَقَوْلُهُ: (قُولُوا أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا إِلَى قَوْلِهِ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِلَى قَوْلِهِ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).

قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! كَيْمَ الْمَلِّ؟

قَالَ: أَرْبَعَةٌ وَهِيَ شَرَائِعُ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! الْمَجُوسُ لِمَ سُمُّوا الْمَجُوسُ؟

قَالَ: لِأَنَّهُمْ تَمَجَّسُوا فِي السَّرْيَانِيَّةِ وَادَّعَوْا عَلَى آدَمَ وَعَلَى شَيْثٍ وَهُوَ هِبَةُ اللَّهِ أَنَّهُمَا أَطْلَقَا لَهُمْ نِكَاحَ الْأُمَّهَاتِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْخَالَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَأَنَّهِنَّ أُمَّرَأَهُمْ أَنْ يُصَلُّوا إِلَى الشَّمْسِ حَيْثُ وَقَفَتْ فِي السَّمَاءِ وَلَمْ يَجْعَلَا لِصَلَاتِهِمْ وَقْتًا وَإِنَّمَا هُوَ افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبُ وَعَلَى آدَمَ وَشَيْثٍ.»

توضيح: هذا الذي ذكره ادعاء وافتراء على الله وكذب على آدم وشيث.

وهكذا تستمر القصة والرواية الطويلة المليئة بالكاذيب العجيبة حتى يصل الراوي

إلى قوله: «... قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا سَيِّدِي فَبِي أَيِّ بُقْعَةٍ يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ؟

قَالَ لَا تَرَاهُ عَيْنٌ فِي وَفْتِ ظُهُورِهِ إِلَّا رَأَتْهُ كُلُّ عَيْنٍ فَمَنْ قَالَ لَكُمْ غَيْرَ هَذَا فَكُذِّبُوا.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا سَيِّدِي! وَلَا يُرَى وَفْتٌ وَلَا دَاتِيَه؟

قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ لَيُرَى مِنْ سَاعَةٍ وَلَا دَاتِيَه إِلَى سَاعَةٍ وَقَاةِ أَبِيهِ سَنَتَيْنِ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوَّلَ وَلَا دَاتِيَه وَفْتِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ لِثَمَانَ خَلُونَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ٢٥٧ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِثَمَانَ خَلُونَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٢٦٠ وَهُوَ يَوْمُ وَقَاةِ أَبِيهِ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي بِسَاطِئِ دَجَلَةَ، يَبْنِيهَا الْمُتَكَبِّرُ الْجَبَّارُ الْمُسَمَّى بِاسْمِ جَعْفَرِ الصَّالِّ الْمَلْقُبِ بِالْمُتَوَكِّلِ، وَهُوَ الْمُتَأَكِّلُ لِعَنَةِ اللَّهِ

تَعَالَى وَهِيَ مَدِينَةٌ تُدْعَى بِسُرٍّ مَنْ رَأَى وَهِيَ سَاءٌ مَنْ رَأَى يَرَى شَخْصَهُ الْمُؤْمِنُ الْمُحَقِّقُ سَنَةً سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ وَلَا يَرَاهُ الْمُسْكِكُ الْمُرْتَابُ وَيُنْفَذُ فِيهَا أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَيَغِيبُ عَنْهَا فَيَطْهَرُ فِي الْقَصْرِ بِصَابِرٍ بِجَانِبِ الْمَدِينَةِ فِي حَرَمِ حِدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَلْقَاهُ هُنَاكَ مَنْ يُسْعِدُهُ اللَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ ثُمَّ يَغِيبُ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ ٢٦٦ فَلَا تَرَاهُ عَيْنٌ أَحَدٍ حَتَّى يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ وَكُلُّ عَيْنٍ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! فَمَنْ يُخَاطِبُهُ وَلِمَنْ يُخَاطَبُ.

قَالَ الصَّادِقُ: تُخَاطِبُهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْجَنِّ وَيَخْرُجُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ إِلَى ثِقَاتِهِ وَوُلَاتِهِ وَوُكَلَايِهِ وَيَقْعُدُ بِبَابِهِ مُحَمَّدُ بْنُ نُصَيْرِ الثُّمَيْرِيِّ فِي يَوْمٍ غَيْبِيَّتِهِ بِصَابِرٍ ثُمَّ يَطْهَرُ بِمَكَّةَ وَوَالِدُهُ يَا مُفَضَّلُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ دَخَلَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَخْصُوفَةُ وَفِي يَدِهِ هِرَاوَنَةٌ يَسُوقُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَنَازًا عَجَافًا حَتَّى يَصِلَ بِهَا نَحْوَ الْبَيْتِ لَيْسَ ثُمَّ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ وَيَطْهَرُ وَهُوَ شَابٌّ قَالَ الْمُفَضَّلُ يَا سَيِّدِي يَعُودُ شَابًّا أَوْ يَطْهَرُ فِي شَيْبَةٍ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلْ يُعْرَفُ ذَلِكَ يَطْهَرُ كَيْفَ شَاءَ وَبِأَيِّ صُورَةٍ شَاءَ إِذَا جَاءَهُ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَجْدُهُ وَجَلَّ ذِكْرُهُ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا سَيِّدِي! فَمَنْ أَيْنَ يَطْهَرُ وَكَيْفَ يَطْهَرُ؟

قَالَ: يَا مُفَضَّلُ! يَطْهَرُ وَحْدَهُ وَيَأْتِي الْبَيْتَ وَحْدَهُ وَيَلْجُ الْكَعْبَةَ وَحْدَهُ وَيَجُزُّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَحْدَهُ فَإِذَا نَامَتِ الْعُيُونُ وَعَسَقَ اللَّيْلُ نَزَلَ إِلَيْهِ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَالْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا فَيَقُولُ لَهُ جِبْرَائِيلُ يَا سَيِّدِي قَوْلِكَ مَقْبُولٌ وَأَمْرُكَ جَائِزٌ فَيَمْسُخُ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ وَيَقِفُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَيَصْرُخُ صَرْخَةً فَيَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ نِقَبَائِي وَأَهْلَ خَاصَّتِي وَمَنْ دَخَرَهُمُ اللَّهُ لِنُصْرَتِي قَبْلَ طُهُورِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، ائْتُونِي طَائِعِينَ، فَتَرُدُّ صِيحْتَهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى مَحَارِبِهِمْ وَعَلَى فُرْشِهِمْ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا فَيَسْمَعُونَهُ فِي صِيحَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَذُنِ كُلِّ رَجُلٍ فَيَجِيبُونَ نَحْوَهَا وَلَا يَمْضِي لَهُمْ إِلَّا كَلِمَةٌ بَصَرَ حَتَّى يَكُونَ كُلُّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّوْرَ فَيَصِيرُ عَمُودًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ فَيَسْتَنْصِيءُ بِهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ جَوْفِ بَيْتِهِ فَتَفْرَحُ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ النَّوْرِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِطُهُورِ قَائِمِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ يُصْبِحُونَ وَفُوفًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُمْ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَجُلًا بَعْدَهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا مَوْلَايَ يَا سَيِّدِي! فَاتَّانَ وَسَبْعُونَ رَجُلًا الَّذِينَ قَتَلُوا مَعَ الْحُسَيْنِ بَنَ

عَلِيٍّ يَطْهَرُونَ مَعَهُمْ؟

قَالَ: يَطْهَرُ مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي النَّتِيِّ عَشْرَ أَلْفًا مُؤْمِنِينَ مِنْ شَيْعَةِ

عَلِيٍّ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا سَيِّدِي! فَيَعْتَبِرُ سَنَةَ الْقَائِمِ بَايَعُوا لَهُ قَبْلَ طُهُورِهِ وَقَبْلَ قِيَامِهِ؟

فَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ! كُلُّ بَيْعَةٍ قَبْلَ طُهُورِ الْقَائِمِ فَبَيْعَتُهُ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَخَدِيعَةٌ لَعَنَ اللَّهُ الْمُبَايِعَ لَهَا وَالْمُبَايِعَ لَهُ، بَلْ يَا مُفَضَّلُ! يُسْبَدُ الْقَائِمُ طَهْرَهُ إِلَى الْحَرَمِ وَيَمُدُّ يَدَهُ فَتَرَى بَيْضَاءَ مَنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَيَقُولُ: هَذِهِ يَدُ اللَّهِ وَعَنِ اللَّهِ وَبِأَمْرِ اللَّهِ ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ الْآيَةَ﴾ (الفتح/١٠)،

فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَقِيلُ يَدَهُ جَبْرَائِيلَ ثُمَّ يُبَايِعُهُ وَتُبَايِعُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُجَبِّأُ الْجِنَّ ثُمَّ النَّبَأُ وَيُصْبِحُ النَّاسُ بِمَكَّةَ...»

[ويواصل الراوي قصته وخياله الفياض! إلى أن يصل إلى القول]:

«وَسَيَدُنَا الْقَائِمُ مُسْنِدٌ ظَهَرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ وَشَيْثَ فَهَذَا آدَمُ وَشَيْثُ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نُوحٍ وَوَلَدِهِ سَامٍ فَهَذَا آدَمُ وَنُوحٌ وَسَامٌ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فَهَذَا آدَمُ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُوسَى وَيُوشَعَ فَهَذَا آدَمُ وَمُوسَى وَيُوشَعُ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عِيسَى وَشَمْعُونَ فَهَذَا آدَمُ عِيسَى وَشَمْعُونُ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَهَذَا آدَمُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَهَذَا آدَمُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأَيْمَةِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ فَهَذَا آدَمُ الْأَيْمَةُ أَجِيبُوا إِلَيَّ مَسْأَلَتِي فَإِنِّي أُبَيِّنُكُمْ بِمَا نَبَّئْتُمْ بِهِ وَمَا لَمْ تُنَبِّئُوا بِهِ وَمَنْ كَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ وَالصُّحُفَ فَلْيَسْمَعْ مِنِّي ثُمَّ يَبْدِئُ بِالصُّحُفِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى آدَمَ وَشَيْثَ وَيَقُولُ أُمَّةٌ آدَمَ وَشَيْثَ هِبَةَ اللَّهِ هَذِهِ وَاللَّهِ هِيَ الصُّحُفُ حَقًّا وَلَقَدْ أَرَانَا مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُهُ فِيهَا وَمَا كَانَ خَفِيَ عَلَيْنَا وَمَا كَانَ أَسْقَطَ مِنْهَا وَبَدَّلَ وَحَرَّفَ ثُمَّ يَقْرَأُ صُحُفَ نُوحٍ وَصُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَالتُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ فَيَقُولُ أَهْلُ التُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ هَذِهِ وَاللَّهُ صُحُفَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ حَقًّا وَمَا أَسْقَطَ مِنْهَا وَبَدَّلَ وَحَرَّفَ مِنْهَا هَذِهِ وَاللَّهُ التُّورَةَ الْجَامِعَةَ وَالزَّبُورَ التَّامَّ وَالْإِنْجِيلَ الْكَامِلَ وَإِنَّهَا أَضْعَافُ مَا قَرَأْنَا مِنْهَا ثُمَّ يَتْلُو الْقُرْآنَ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ هَذَا وَاللَّهُ الْقُرْآنَ حَقًّا الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَسْقَطَ مِنْهُ وَحَرَّفَ وَبَدَّلَ. ثُمَّ تَنْظُرُ الدَّابَّةَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَتَكْتُمُ فِي وَجْهِ الْمُؤْمِنِ مُؤْمِنٌ وَفِي وَجْهِ الْكَافِرِ كَافِرٌ.....»

[وتواصل الرواية الخيالية العجائبية صفحات أخرى حتى يصل الراوي إلى قوله]:

«ثُمَّ تَنَفَّسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ: يَا مُفَضَّلُ! إِنَّ بَقَاعَ الْأَرْضِ تَفَاحَرَتْ فَفَحَرَتْ كَعْبَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى بُقْعَةِ كَرْبَلَاءَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا أَنْ اسْكُتِي كَعْبَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَلَا تَتَخَرَّجِي عَلَى كَرْبَلَاءَ فَإِنَّهَا الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي تُؤَدِّي مُوسَى مِنْهَا مِنَ الشَّجَرَةِ وَإِنَّهَا الرَّبْوَةُ الَّتِي أُوتِيَ إِلَيْهَا مَرْيَمُ وَالْمَسِيحُ وَإِنَّهَا الدَّالِيَّةُ الَّتِي غُسِلَ فِيهَا رَأْسُ الْحُسَيْنِ وَفِيهَا غَسَلَتْ مَرْيَمُ عِيسَى وَاغْتَسَلَتْ مِنْ وَلَادَتِهَا وَإِنَّهَا خَيْرُ بُقْعَةٍ عَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَفَتَتْ غَيْبَتَهُ وَلَيَكُونَنَّ لِشِبَعَتِنَا فِيهَا خَيْرَةٌ إِلَى ظُهُورِ قَائِمِنَا.

قَالَ الْمُفَضَّلُ: يَا سَيِّدِي! ثُمَّ يَسِيرُ الْمَهْدِيُّ إِلَى أَيْنَ؟

قَالَ: إِلَى مَدِينَةِ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا وَرَدَهَا كَانَ لَهُ فِيهَا مَقَامٌ عَجِيبٌ يَطَّهَّرُ فِيهِ سُرُورُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَزْيُ الْكَافِرِينَ قَالَ الْمُفَضَّلُ يَا سَيِّدِي مَا هُوَ ذَلِكَ قَالَ يَرُدُّ إِلَى قَبْرِ جَدِّهِ ﷺ فَيَقُولُ يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ هَذَا قَبْرُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُونَ نَعَمْ يَا مَهْدِي آلِ مُحَمَّدٍ فَيَقُولُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْقَبْرِ فَيَقُولُونَ صَاحِبَاهُ وَصَجْبَعَاهُ..... [إلى قوله]:

ثُمَّ يَأْمُرُ بِإِنزَالِهِمَا فَيُنزِلُهُمَا إِلَيْهِ فَيُخَيِّبُهُمَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَأْمُرُ الْخَلَائِقَ بِالاجْتِمَاعِ ثُمَّ يَقْضِي عَلَيْهِمْ قَصَصَ فِعَالِهِمَا فِي كُلِّ كُورٍ وَدُورٍ حَتَّى يَقْضَى عَلَيْهِمْ قَتْلَ هَابِيلَ بْنِ آدَمَ وَجَمْعَ النَّارِ لِإِبْرَاهِيمَ وَطَرْحَ يُوسُفَ فِي الْجُبِّ وَحَبْسَ يُوشَعَ فِي الْحُوتِ وَقَتْلَ يَحْيَى وَصَلْبَ عِيسَى وَعَذَابَ جَرَجِيسَ وَدَانِيَالَ وَضَرْبَ سُلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَإِشْعَالَ النَّارِ عَلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ لِإِحْرَاقِهِمْ بِهَا وَضَرْبَ يَدِ الصِّدِّيقَةِ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ

بِالسَّوْطِ وَرَفَسَ بَطْنَهَا وَإِسْقَاطَهَا مُحْسِنًا وَسَمَّ الْحَسَنَ وَقَتَلَ الْحُسَيْنَ وَذَبَحَ أَطْفَالَهُ وَبَنِي عَمِّهِ وَأَنْصَارَهُ وَسَبَّى ذُرَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِرَاقَةَ دِمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكُلَّ دَمِ سُفْكَ وَكُلَّ فَرْجٍ نُكِحَ حَرَامًا وَكُلَّ رَيْنٍ وَخُبْتٍ وَفَاجِشَةٍ وَإِنَّمِ وَظَلَمٌ وَجَوْرٌ وَعَسَمٌ مُنْذُ عَهْدِ آدَمَ إِلَى وَقْتِ قِيَامٍ قَائِمِنَا كُلُّ ذَلِكَ يُعَدُّهُ عَلَيْهِمَا وَيُلْزِمُهُمَا إِيَّاهُ فَبِعْتَرَفَانِ بِهِ!!... [أي يجعل جميع معاصي ومظالم البشر منذ آدم وإلى يوم القيامة برقبة أبي بكر وعمر!!!].

نكتفي بهذه الاقتباسات من تلك القصة الطويلة لنشرع بنقدها:

نقد خبر المفضل بن عمر

انتقدنا في بداية هذه الرواية أو القصة، بعض المواضع منها، والآن نكمل انتقاد بقيتها.

أولاً: من الواضح أن المعلومات الدينية لهذا الراوي الذي قام بتلفيق كل هذه الأكاذيب والترهات معلومات ضحلة للغاية، فقد وقع في أخطاء عجيبة، ففي آخر قصته الخرافية هذه يقول: «...وَقَتَلَ يَحْيَى وَصَلَبَ عَيْسَى وَعَذَابَ جِرْجِيسَ وَدَانِيَالَ..» مع أن جميع المسلمين يعلمون أن عيسى - طبقاً لنص القرآن - لم يُقتل ولم يُصلب، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/١٥٧ و١٥٨).

و ثانياً: من الواضح أن هذا الراوي لم يكن يعلم أن العلم سيتقدم وسيتم اختراع السيارات والطائرات، لذا كان يظن أن الناس زمن ظهور القائم لا يزالون يستخدمون البغال في أسفارهم فيقول عن الأشرار في ذلك الزمن: «...وَخَرَّبْنَا الدُّنْيَا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى الزُّوْرَاءِ وَتَرَكْنَاهَا جَمَاءَ وَخَرَّبْنَا الْكُوفَةَ وَخَرَّبْنَا الْمَدِينَةَ وَكَسَرْنَا الْمِنْبَرَ وَرَأَيْتُ بَعْلَانًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...».

وجاء في القصة: «... قَالَ الْمُفَضَّلُ: قُلْتُ يَا سَيِّدِي! وَرَسُولُ اللَّهِ وَآمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَكُونَانِ مَعَهُ؟ فَقَالَ: لَا بَدَأَ أَنْ يَطْنَا الْأَرْضَ إِيَّيَّ وَاللَّهِ...» ثم قال: «نَمَّ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ يَا مُفَضَّلُ إِلَيْنَا مَعَاشِرَ الْأَيْمَةِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَشْكُو إِلَيْهِ مَا نَزَلَ بِنَا مِنَ الْأُمَّةِ بَعْدَهُ وَمَا نَأَلْنَا مِنَ التَّكْذِيبِ وَالرَّيِّ عَلَيْنَا وَسَبِينَا وَلَعْنِنَا وَتَخْوِيفِنَا بِالْقَتْلِ... الخ» ثم يذكر أن عيسى المسيح يرجع إلى الدنيا أيضاً.

والجواب: سنحجب عن هذه الأباطيل باختصار مستدلين بآيات من القرآن الكريم ونصوص من نهج البلاغة الذي بين أيدي جميع الناس.

[الأدلة على بطلان الرجعة]

لا توجد في القرآن الكريم أي آية تشير إلى رجوع الأموات إلى عالم الدنيا قبل يوم القيامة بل يوجد ما ينفي ذلك بصراحة:

يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر/٣٠ و٣١).

فهذه الآية تبين أنه بعد الموت سيكون الخصام يوم القيامة فقط، أي سيخاصم النبي الكفار في يوم القيامة.
ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم/٣٣). فهذه الآية تبين أن عيسى وُلد مرة واحدة، ومات واحدةً وبعث واحدةً وهو البعث يوم القيامة.

وروى المجلسي في «بحار الأنوار» نقلاً عن الشيخ حسن بن سليمان في كتابه: «منتخب البصائر» عن الإمام موسى الكاظم قال: «لَتَرْجَعَنَّ نَفُوسٌ ذَهَبَتْ وَلِيَقْتَصَنَّ يَوْمَ يَقُومُ وَمَنْ عَذَّبَ يَقْتَصَّ بِعَذَابِهِ وَمَنْ أُعْظِيَ أَعَظَّ بِعِظِهِ وَمَنْ قُتِلَ اقْتَصَّ بِقَتْلِهِ وَيُرَدُّ لَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ مَعَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا بِنَارِهِمْ ثُمَّ يَعْمُرُونَ بَعْدَهُمْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا ثُمَّ يَمُوتُونَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ قَدْ أَدْرَكُوا نَارَهُمْ وَشَقُّوا أَنْفُسَهُمْ وَيَصِيرُ عَذْوُهُمْ إِلَى أَشَدِّ النَّارِ عَذَابًا ثُمَّ يُوفَّقُونَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُؤَخَذُ لَهُمْ بِحُقُوقِهِمْ».

والجواب: يقول تعالى في سورة «المؤمنون»: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَاِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المؤمنون/٩٩-١٠٢).

فهذه الآية تنفي الرجعة بكل وضوح. وفي القرآن آيات أخرى أيضاً تنفي الرجعة كقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر/٤٦).

أما في «نهج البلاغة» فقد جاء في الرسالة رقم ٣١ من رسائل الإمام علي وصيته إلى ابنه الحسن يقول فيها: «وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَنُودًا الْمُخَفِّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنْ الْمُثْقَلِ وَالْمُبْطِئِ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ إِمَّا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ فَارْتَدَّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نَزْوَلِكَ وَوَطِئَ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ». فعلي يؤكد في هذه الآية أن لا عودة إلى الدنيا لأحد بعد الموت.

[رد الطعن بأبي بكر وعمر وبيان ثناء القرآن والصحابه والتابعين عليهما]

هذا ولما كان آخر قصة «المفضل بن عمر» قد تضمن طعناً بأبي بكر وعمر وإساءة لهما، نرى من اللازم أن نذكر هاهنا ما يدل عليه القرآن الكريم والحديث الصحيح بشأنهما. هذا رغم أننا لن نستطيع في هذه العجالة أن نبسط البحث في هذا الموضوع، وندعو القراء الكرام إلى مراجعة كتاب «اسلام ناب» (اي الاسلام النقي الاصيل)، حيث بحثت فيه مسألة الإمامة، لكننا نذكر هنا بعض الأمور في هذا الموضوع كما جاءت في كتاب الله السماوي وفي الكتب الأخرى:

يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة/١٠٠).

والسنة والشيعية يعلمون أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا من السابقين الأولين من المهاجرين.

ويقول الله تعالى كذلك: ﴿الْمُفْقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَوَلَّكَ اللَّهُ الْمَفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر/ ٨-١٠).

وتجمع كتب السيرة والتاريخ على أن أبا بكر وعمر رغم أنهما كانا ذا وضع مالي جيد في مكة، إلا أنهما تركاها وغادراها إلى المدينة طلباً لرضا الله ونصرةً لله ورسوله، وهاجر أبو بكر برفقة النبي ﷺ ماشياً على الأقدام معه من مكة إلى المدينة. فهذا يدل على أننا يجب - طبقاً لآيات القرآن الكريم - أن نطلب من الله الغفران لنا ولأبي بكر ولعمر ولجميع المهاجرين، ونعلم أنهم جميعاً إخواننا في الدين ونسأل الله تعالى أن لا يجعل في قلوبنا غلاً لهم.

ونظائر هذه الآيات كثير في القرآن الكريم، ونكتفي بما ذكرناه، أما بالنسبة إلى الأحاديث فهي كثيرة أيضاً في هذا الأمر وسنكتفي هنا بذكر بعضها:

روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) في كتابه «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» بسنده عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين قال: «أتاني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلما فرغوا قال لهم علي بن الحسين: ألا تخبرونني أنتم المهاجرون الأولون ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾؟؟ قالوا: لا! قال: فأنتم ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَوَلَّكَ اللَّهُ الْمَفْلِحُونَ﴾؟؟ قالوا: لا! قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ اخرجوا فعل الله بكم»^(١).

هذا هو قول إمام الشيعة الرابع الإمام علي بن الحسين السَّجَّاد بشأن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. والموقف ذاته نجده عند ابنه «زيد بن علي بن الحسين» عليهم السلام الذي كان من أكابر أهل البيت ومن زهاد العترة وفقهائها، وكُنُتِبَ الرجال لدى الإمامية، مثل كتب العلامة الحلِّي والشوشترى والممقاني وغيرهم، مشحونة بذكر مناقبه وفضائله، ونقلت بالأسانيد المعتمدة عن كل من الإمام جعفر بن محمد الصادق والإمام علي بن موسى الرضا مدحهما له وثنائهما الكبير عليه.

من ذلك ما جاء في كتاب «عيون أخبار الرضا» من قول الإمام علي بن موسى الرضا بشأن «زيد بن علي»: «فإنه كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه

(١) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ج ٣/ ص ١٣٦.

حتى قتل في سبيل الله»^(١).

ومن المعروف والمشهور أنه عندما سئل الإمام زيد بن علي عن الشيخين وقيل له: «رحمك الله، ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فأجاب: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً»^(٢).

ويقول الإمام علي في رسالته التي بعث بها إلى أهالي مصر مع «قيس بن سعد بن عبادة» واليه على مصر، كما أوردها إبراهيم بن هلال الثقفي الشيعي في كتابه: «الغارات» (ص ٢١٠)، والسيد علي خان الشوشتر في كتابه «الدرجات الرفيعة» (ج ١/ص ٣٣٦)، والطبري في تاريخه (ج ٣/ص ٥٥٠):

«... فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عز وجل صلى الله عليه ورحمته وبركاته ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملاً بالكتاب والسنة وأحسنا السيرة ولم يعدوا لسنته ثم توفاهما الله عز وجل رضي الله عنهما».

وأثنى الإمام علي على عمر رضي الله عنه كما في «نهج البلاغة» ترجمة فيض الإسلام، في الخطبة رقم ٢١٩، فقال: «لله بلاد فلان فلقد قوم الأود ودأوى العمدة وأقام السنة وخلف الفتنة ذهب نقي الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرها. أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي بها الضال ولا يستيقن المهتدي»^(٣).

ويدل على ذلك أيضاً الرواية التي نقلت عن الحسن المثنى بن الحسن المجتبي أنه قال: «لو كان النبي أراد خلافته لقال: أيها الناس! هذا وليّ أمري والقائم عليكم بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا، (ثم أضاف): أقسم بالله سبحانه أن الله تعالى لو أثر علياً لأجل هذا الأمر ولم يقدم عليّ كرم الله وجهه لكان أعظم الناس خطأ»^(٤).

(١) الشيخ الصدوق، «عيون أخبار الرضا»، ط. طهران، ١٣٧٨هـ، ج ١/ص ٢٤٩.
 (٢) انظر هذا في كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لأبي الحسن الأشعري، طبع القاهرة، ج ١/ص ١٣٠، وكتاب «الملل والنحل»، لأبي الفتح الشهرستاني، طبع القاهرة، ج ١/ص ١٥٥.
 قلت (المترجم): وقد روى الإمام الطبري، في تاريخه المعروف بتاريخ الأمم والملوك، [طبع القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ذكر أحداث سنة ١٢٢، ج ٥/ص ٤٩٨] هذا الخبر بنحو مفصل، وفيما يلي نصه، قال: «فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس إليه ويستبجث عن أمره اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم فقالوا رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً. قالوا: فلم تطلب إذا بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعا من أيديكم؟ فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً وقد وُلوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة...».

(٣) نهج البلاغة: ومن كلام له عليه السلام يريد به بعض أصحابه، تحقيق صبحي الصالح، ص ٣٥٠، أو نهج البلاغة الطبعة التي حققها الشيخ محمد عبده، ج ٢/ص ٣٢٢. قلت: وقد ذكر كل من شرح «نهج البلاغة» من علماء الشيعة الإمامية - مثل ابن ميثم البحراني (٦٧٩هـ) في شرحه على نهج البلاغة (ج ٤/ص ٩٦-٩٧)، والذنبلي كذلك، وعلي النقي في الدررة النجفية (ص ٢٥٧)، وعلي تقي فيض الإسلام شارح نهج البلاغة باللغة الفارسية - أن المقصود بفلان هو «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه.

(٤) انظر عبد القادر بدران، «تهذيب تاريخ دمشق»، ط ٢، بيروت، دار المسيرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج ٤/ص ١٦٩. أو تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، ج ١٣/ص ٧٠-٧١.

وهذه الرواية تدل أيضاً على أن رسول الله ﷺ لم ينص على عليّ بالخلافة. ومما يدل على ذلك أيضاً نصُّ الرسالة التي كتبها الإمام عليّ إلى معاوية، كما أوردها عنه الشريف الرضي في «نهج البلاغة»، الرسالة السادسة^(١)، حيث يقول: «إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَيَّ مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَزِدَّ وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلٌ وَسَمَوَهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِنَهْجِهِ رِضًا فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْنٌ أَوْ بَدْعَةٌ رَدُّهُ إِلَيَّ مَا خَرَجَ مِنْهُ فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَيَّ اتَّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى».

هذه الرسالة ذات قيمة كبيرة لأنها ليست خطبةً حتى يُقال إن من سمعها زاد فيها أو انقص منها عندما دونها من حفظه، كما أنها ليست حديثاً مر عبر عدد من الرواة، بل هي رسالة مكتوبة وصلت إلينا كما هي مباشرة.

وكما ذكرنا هناك روايات عديدة في هذا المجال ذكرنا بعضها فيما مرّ، ونذكر أيضاً بعض الشواهد التاريخية:

ثمة روايات تؤكد أن حضرة عليّ زوّج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، وهذا دليل واضح على أن عمر كان مؤمناً تقياً وأن علياً كان يحبّه. وهذا التزويج يُقرّ به الشيعة وأنه تمّ في الوقت الذي كان فيه عمر خليفة المسلمين.

لو كان الله تعالى قد نصب علياً ونصّ عليه فعلاً لمنصب خلافة النبي ﷺ وكان عمر قد غصبه هذا الحق، لكان عمر قد ارتكب مخالفةً صريحةً وواضحةً لأمر الله تعالى، وعندئذٍ فإن علياً – بحكم الدين – لم يكن له الحق في إعطاء ابنته لمن خان الله ورسوله وتنكر للحق الواضح. ولا ننس أن علياً كان شخصاً مبدئياً إلى أقصى حد، فهو لم يكن مستعداً للصالح مع معاوية وقبوله أميراً على الشام ليوم واحد، فكيف قبل بمبايعة عمر خليفة على جميع المسلمين وليس هذا فحسب بل قبل أن يعطيه ابنته زوجةً له؟! ليس من إجابة إلا أن نقر بأن علياً إذن كان صديقاً لعمر ومحباً له، وأن عمر كان مؤمناً ولم يغضب حق عليّ، أما ما يذكرونه من نصوص تفيد أن الرسول ﷺ نص على عليّ خليفةً له من بعده فهي روايات مكذوبة وضعوها لبث الفرقة بين المسلمين، وكان لليهود يد في ذلك فلم يقصروا في هذا المجال، فالتاريخ يظهر أن عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل وضع روايات عديدة في حق عليّ وأوجد فرقة السبئية. أضف إلى ذلك أن رواة أحاديث التفرقة بين المسلمين كلهم من الكذابين والغلاة حسب كتب الرجال.

ومن الشواهد الأخرى على محبة عليّ لعمر أن علياً بعد رحيل فاطمة – التي لم يتزوج عليها أثناء حياتها – تزوج من عدة نساء وأنجب عدة أولاد فسمى أحدهم أبا بكر، وسمى آخر عمر وسمى ثالثاً عثمان. وهذا الأمر يذكره المؤرخون ومنهم الشيخ عباس القمي من الشيعة الإمامية في كتابه «منتهى الآمال»، في ترجمته لأمير المؤمنين حيث يذكر أن من أولاده: أبو بكر بن علي عليه السلام وأمه ليلي بنت مسعود بن خالد، والإمام

(١) ورواها أيضاً نصر بن مزاحم المنقري في كتابه "وقعة صفين" ص ٢٩.

الحسن والإمام الحسين ومحمد بن الحنفية وعباس وعمر الأكبر، ويذكر في الكتاب ذاته أيضاً اسم «عثمان بن علي».

حقاً إنه لمن العجيب القول إن أبا بكر وعمر وعثمان خالفوا أمر الله وغضبوا حق علي، ثم نقول إن علياً سُمِّي أولاده بأسمائهم!! هل خلت الدنيا من الأسماء! ألا يدل تسمية عليٍّ لثلاثة من أولاده بأسماء الخلفاء من قبله: أبو بكر وعمر وعثمان على أن علياً كان في الواقع يحب أولئك الخلفاء ويتولاهم، وأنه احتمل أن يقوم الغلاة فيه من بعده بوضع أحاديث مفرقة للمسلمين فقام بهذه التسميات ليرد على تلك الأحاديث ويبين زيفها، ويثبت للجميع موالاته للخلفاء الذين سبقوه، وأن رأيه فيهم كان حسناً.

وقد روى العالم الشيعي السيد ابن طاوس في كتابه «كشف المحجة في ثمره المهجة»، وكذلك روى محمد بن يعقوب الكليني في كتابه «الرسائل»^(١)، رسالة كتبها أمير المؤمنين عليٌّ قال فيها عن عمل أبي بكر: «.. فولي أبو بكر فقارب^(٢) واقتصد..». ونقل المجلسي في «بحار الأنوار»، عن كتاب «الرسائل» للكليني، وكتاب «كشف المحجة» للسيد ابن طاوس، قول عليٍّ عن عمر: «وكان عمر مرضي السيرة من الناس عند الناس»^(٣)..^(٤)

والرواية الأخرى التي يستند إليها الشيعة لإثبات إمام الزمان (المهدي الغائب) هي ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٥).

والجواب: لا ندري إلى أي حد تصح هذه الرواية، ولكن على أي حال، من الواضح أن المقصود من إمام الزمان فيها هو الإمام والحاكم الفعلي الذي يدير زمام أمور المسلمين في كل عصر، سواء كان برأ أم فاجراً، فإذا كان مؤمناً كان على المسلمين أن يؤدوا دورهم المطلوب منهم في الأمور السياسية فينصروه ويدعموه، وإن كان فاجراً فعلي المسلمين أن يرفضوا طاعته، فالمقصود من هذه الرواية أن على المسلم أن يكون مهتماً بأمور بلده ومجتمعه وعلى اطلاع عليها، وهناك روايات أخرى تؤيد هذا الكلام.

روي الشيخ المفيد في كتابه «الاختصاص» عن عمر بن يزيد عن أبي الحسن الأول – أي حضرة الإمام موسى الكاظم عليه السلام - قال سمعته يقول:

«مَنْ مَاتَ بَعْدَ إِمَامِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً إِمَامٌ حَيٌّ يَعْرِفُهُ. قُلْتُ: لَمْ أَسْمَعْ أَبَاكَ يَذْكُرُ هَذَا يَعْنِي إِمَامًا حَيًّا! فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ مَاتَ

(١) كتاب «الرسائل» للكليني، ذكره ابن طاوس في «كشف المحجة» وقال: واني أروي كل ما رواه الشيخ الكبير محمد بن يعقوب الكليني (رضي الله عنه وأرضاه) بطرق كثيرة واضحة ذكرت بعضها في أول كتاب «المهمات والنتمات».

(٢) قارب في الأمر: ترك الغلو وقصد السداد والصدق، كما جاء في الحديث النبوي: سدوا وقاربوا.

(٣) في كتاب «الغارات» للثقفى، في نقله لنفس الرسالة، جاءت هذه العبارة بلفظ: «و تولى عمر الأمر وكان مرضي السيرة ميمون النقية». (الغارات، ١/ ٢٠٧).

(٤) أوردهما المجلسي في بحار الأنوار: تنمة كتاب الفتن والمحن، [١٦] باب آخر فيما كتب عليه السلام إلى أصحابه في ذلك نصريحاً وتلويحاً، ج ٣٠/ص ١٢ - ١٣، نقلاً عن كتاب الرسائل للكليني وكشف المحجة لابن طاوس.

(٥) الحرّ العاملي، «وسائل الشيعة»، ج ١٦/ص ٢٤٦.

وَأَيْسَرَ لَهُ إِمَامٌ يَسْمَعُ لَهُ وَيُطِيعُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

فهذه الرواية تبين أن المقصود من الإمام هو الإمام الحي الذي ينبغي أن يراه الناس ويسمعوا كلامه لا الإمام الغائب الذي اصطنعه خيال الشيعة الإمامية. وقال بعضهم المقصود من معرفة إمام الزمان معرفة تعاليم القرآن وآياته، وأن المقصود من الإمام هو القرآن^(٢)، لأن من مصاديق الإمام الكتب السماوية والقرآن. وقد كان القرآن الكريم إمام النبي وإمام الأئمة، إذ كانوا أتباع القرآن المؤتمنون به.

المهدي يجعل جميع الناس مسلمين!

يروى المجلسي في «بحار الأنوار» نقلاً عن كتاب الاحتجاج للطبرسي عن زَيْدِ بْنِ وَهْبِ الْجَهَنِّيِّ «عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ أَبِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالَ: يَبْعَثُ اللَّهُ رَجُلًا فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَكَلْبٌ^(٣) مِنَ الدَّهْرِ وَجَهْلٌ مِنَ النَّاسِ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمَلَانِكَتِهِ وَيَعْصِمُ أَنْصَارَهُ وَيُنْصِرُهُ بِآيَاتِهِ وَيُظْهِرُهُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَدِينُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا وَنُورًا وَيُرْهَانَا يَدِينُ لَهُ عَرْضَ الْبِلَادِ وَطَوْلَهَا لَا يَبْقَى كَافِرٌ إِلَّا آمَنَ وَلَا طَالِحٌ إِلَّا صَلَحَ وَتَصَطَّلِحَ فِي مُلْكِهِ السَّبَاعِ...»^(٤).

لنر الآن هل تنطبق هذه الرواية مع القرآن الكريم؟

يقول تعالى في سورة المائدة: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (المائدة/٦٤).

إذن من هذه الآية يتبين أنه حتى يوم القيامة سيبقى هناك يهود على وجه الأرض وستبقى بينهم العداوة والبغضاء، وكذلك سيبقى النصارى أيضاً على هذه الصورة حتى يوم القيامة، كما تصرح به الآية ١٤ من سورة المائدة.



(١) بحار الأنوار، ج ٢٣/ ص ٩٢. والنوري الطبرسي في «مستدرک الوسائل»، ج ١٨/ ص ١٧٧.

(٢) ويدل على هذا التفسير قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا)، قال مجاهد وقتادة: بنبيهم، وقال أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم. روي هذا عن مجاهد ويحيى بن زيد أيضاً. انظر تفاسير التبيان للطوسي ومجمع البيان للطبرسي، وتفسير الطبري، ذيل تفاسيرهم للآية المذكورة من سورة الإسراء.

(٣) الكلب: شبيه بالجنون.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢/ ص ٢٨٠.

الفصل الثاني: الآيات التي يستدلون بها على المهدي مع أنه ليس فيها أي دلالة عليه

قبل أن نذكر الآيات نطلب منك أيها القارئ الكريم، إذا لم تكن تحفظ القرآن أو لم يكن لك معرفة باللغة العربية، أن تضع أمامك ترجمة للقرآن الكريم وتندبر معاني الآيات التي سنذكرها فيما يلي:

الآية الأولى: إحدى الآيات التي يستدلون بها على ظهور المهدي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء/١٠٥).
والجواب: من العجيب كيف يتم تحريف معنى مثل هذه الآية الواضحة التي لا لبس في معناها، ويتم تفسيرها بمعنى ما أنزل الله به من سلطان، فقاتل الله الذين أدخلوا في الإسلام روايات كاذبة شوهت الإسلام الذي أنزله الله وحرفت معاني آياته.
الآن لننظر ما المقصود الحقيقي من هذه الآية؟ يجب أن نذهب إلى المصدر الذي أشارت إليه الآية، أي الزبور، فنجد أنه في سفر المزامير لداود (المزمور ٣٧/الآية ٢٩) جاء النص التالي: ﴿الصَّادِقُونَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الْأَبَدِ﴾.
إذن يتبين أن المقصود من الأرض التي سيرثها الصالحون أرض الجنة، إذ لو كان المقصود أرض الدنيا لما صح قوله أنهم سيسكنونها إلى الأبد، لأنه من المعلوم أن أرض الدنيا لن تبقى إلى الأبد ولا الصالحون سيعيشون في الأرض إلى الأبد، بل سيموت الجميع وتقوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ (الزلزلة/١-٢). ويقول تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/٢٦ و٢٧).

ولقد جاءت كلمة «الأرض» في عدد من الآيات القرآنية الأخرى بمعنى: «أرض الجنة»، كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر/٧٤).
أضف إلى ذلك أن كلمة «الصَّالِحُونَ» في الآية موضع الاستشهاد محلاة بالألف واللام [ألف ولام الجنس] فهي تشمل جميع الصالحين ولا تختص بصالحي آخر الزمان فقط.

الآية الثانية: من الآيات الأخرى التي يستدلون بها على ظهور المهدي في آخر الزمن قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص/٥).
ونقول في الإجابة: إنه لفهم أي آية من القرآن فهماً صحيحاً لا بد أن نلاحظ سياقها

الذي جاءت فيه، أي ما قبلها وما بعدها من آيات، كما علينا أن نأخذ بعين الاعتبار مكية الآيات أو مدنيتهما فذلك كله يساعد على استبيان المعنى الحقيقي للآيات:

فلننظر الآن لما قبل الآية المستشهد بها، فقد جاء قبلها مباشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص/٤)، ثم قال تعالى بعدها: ﴿وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي نريد أن نمن على هؤلاء الذين استضعفهم فرعون فكان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ﴿وَنَجْعَلُهمُ أئمةً وَنَجْعَلُهمُ الْوَارِثِينَ﴾ أي نجعل المستضعفين من بني إسرائيل أئمة ووارثين. وهذا التفسير البين تتفق عليه تفاسير السنة والشيعية.

فاذا استشكل بعضهم وقال: إذا كان الأمر كذلك فلماذا استخدم الله تعالى صيغة المضارع بقوله ﴿وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾؟

قلنا في الإجابة: إنما استخدم الله تعالى المضارع ليبين أن المنّ على موسى والمستضعفين من بني إسرائيل بالتمكين في الأرض إنما سيكون بعد استضعاف فرعون لهم كما جاء في نص الآية التالية مباشرة حيث قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص/٦)، فهنا ﴿نَمُنَّ﴾ و﴿نُرِي﴾ أيضاً بصيغة المضارع مع أن فرعون وهامان كانا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقرون طويلة. إذن أتى الله تعالى بصيغة المضارع في قوله تعالى ﴿نُرِي﴾ ولم يقل «أرينا» لأجل أن يبين أن ما سيريه لفرعون وهامان وجنودهما من العذاب الذي يستحقونه سيكون بعد استضعاف بني إسرائيل.

الآية الثالثة: التي يستدلون بها على المهدي ويصنعون منها ملصقات جدارية وعارضات من الأقمشة يكتبون عليها هذه الآية بالخط العريض ويصرفون مبالغ طائلة على هذا الأمر كان ينبغي أن تصرف على الدعوة إلى الإسلام الأصيل لا على ما يضل الناس، أقول الآية هي قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ...﴾ (هود/٨٦). حيث يقول الشيعة إن المقصود من ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ في الآية: إمام الزمان!!!

ولكننا إذا انتبهنا إلى سياق الآية وما جاء قبلها وبعدها تبين لنا بوضوح أنها تتكلم عن قوم شعيب الذين كان نبيهم يعظهم ويقول لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود/٨٥) ثم قال: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ...﴾ أي اكتفوا بما يبقى لكم من الربح الحلال، فبقية الله هي المقدار الذي أحله الله لكم من الكسب الحلال. والكلام هو عن قوم شعيب. وهذا الذي ذكرناه هو الذي يذكره جميع المفسرين من أهل السنة، وبالنسبة إلى تفاسير الشيعة فسندكر ما قاله أحد أهم وأكبر المفسرين منهم ألا وهو الشيخ الطبرسي، حيث قال مفسراً الآية في تفسيره «مجمع البيان»:

«﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: «البقية» بمعنى الباقي، أي ما أبقي الله تعالى لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خيراً من البخس والتطفيف. وشرط الإيمان في كونه خيراً لهم لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول».

وذهب آخرون من أعلام مفسري الشيعة أيضاً إلى مثل هذا التفسير^(١)، فإذا رأينا بعد ذلك أن بعض المفسرين الشيعة فسّر الآية بغير ذلك استناداً إلى أخبار ضعيفة علمنا استناداً إلى القرآن الكريم وإلى روايات متعددة في هذا المجال وإلى تفاسير السنة والشيعة أن قوله غير صحيح. أضف إلى ذلك أن الله تعالى ليس له أبعاد وأجزاء حتى يكون له بقية منها في الأرض!.

الآية الرابعة: من الآيات الأخرى التي يستدلون بها هي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة/٣). حيث يقولون إن المقصود من «الإيمان بالغيب» الإيمان بالمهدي الغائب.

والجواب: إذا لاحظنا سياق هذه الآيات وما جاء قبلها وبعدها علمنا أن المقصود بالغيب هنا هو ذات الباري تعالى. وقال بعضهم المقصود من الغيب هو «يوم القيامة» التي هي خافية عن الأنظار اليوم، وهؤلاء أيضاً مخطئون في تفسير الآية، لما سنذكره بعد قليل، وأما الدليل على أن «الغيب» في الآية معناه «ذات الباري تبارك وتعالى» ولا علاقة لها بالمهدي فهو ما يلي:

(١) إذا لاحظنا سياق الآية وجدناها تقول: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ فالمتقون هم الذي يؤمنون بالغيب فيقيمون الصلاة، وبناء عليه فقبل إقام الصلاة لا بدّ أولاً من وجود الإيمان بالله تعالى الذي نصلّي له، إذن «الغيب» هنا الله تعالى.

(٢) مما يؤكد أن المقصود بالإيمان بالغيب هنا هو الإيمان بـ«الله تعالى» أن الله ذكر في سياق الآية عدداً من صفات المتقين كما يلي: الإيمان بالغيب – إقام الصلاة وإيتاء الزكاة – الإيمان بما أنزل إلى النبي محمد ﷺ أي بالقرآن – الإيمان بما أنزل قبله، أي بالكتب السماوية السابقة – اليقين بالآخرة أي بالقيامة. فهل يمكن لأحد أن يدعي أن الإيمان بالله تعالى لم يُطرح في هذه القائمة التي بيّنت أهم أركان الإيمان؟ بالطبع لا، لأننا نعلم أن الإيمان بالله هو على رأس قائمة أركان الإيمان وأوجبها^(٢) فلا يمكن أن يكون المقصود من الغيب هنا شيئاً سوى الله تعالى.

(٣) ذكر الله تعالى ذاته في كل سورة من سورة القرآن وتكلم عن ذاته وصفاته في آلاف المواضع من كتابه، فعلى المؤمنين أن يؤمنوا بالله سبحانه قبل أي شيء، أما المهدي فليس له أي ذكر في القرآن الكريم، فكيف يطلب الله تعالى من الناس أن يؤمنوا بشيء لم يذكره لنا في كتابه؟! فهل «الغيب» الذي أمر الله تعالى بالإيمان به هو ذات الله الذي دعانا في كل القرآن للإيمان به أم هو المهدي الذي لا ذكر له ولا اسم له في القرآن؟؟

(١) كشيخ الطائفة الطوسي في تفسيره «التبيان»، وفخر الدين الطريحي في كتابه تفسير غريب القرآن، والعلامة محمد حسين الطباطبائي في تفسيره «الميزان».

(٢) يؤكد ذلك أن الله تعالى عندما ذكر أركان الإيمان في بعض المواضع من القرآن ذكر الإيمان بالله على رأسها كقوله سبحانه: ﴿وَلِكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾ [البقرة/١٧٧] وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...﴾ [البقرة/٢٨٥] غيرها من الآيات.

أضف إلى كل ذلك أن الذي أمر الله بالإيمان به هو «الغيب» أي الذي لا يمكن مشاهدته بالحواس والغائب عن الأنظار، فإذا كان المقصود من «الغيب هنا» إمام زمان الشيعة، لأصبحت هذه الآية لغواً عند ظهوره لأنه سيكون قد ظهر للعيان ولم يعد غيباً فبأي غيب يومئذ سيؤمن المتقون؟؟

(٤) قال الله تعالى في سورة الملك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك/١٢)، وقال عز من قائل في سورة يس: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ﴾ (يس/١١)، وقال سبحانه في سورة ق: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (ق/٣١-٣٣). فكل هذه الآيات تبين أن الغيب الذي يجب أن يؤمن به المؤمنون ويخشوه هو الله.

(٥) وإنما قلنا ليس المقصود من الغيب في الآية موضع الاستشهاد «يوم القيامة» لأن الله ذكر في آخر تلك الآية ذاتها وجوب الإيمان بيوم القيامة حين قال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة/٤)، والأصل عدم تكرار المعنى ذاته ضمن الآية الواحدة، كما أنه من البعيد جداً أن لا يذكر الله تعالى الإيمان به كجزء من صفات المتقين في حين يذكر مرتين الإيمان بالآخرة كصفة من صفات المتقين.

الآية الخامسة: من الآيات الأخرى التي يستشهدون بها على المهدي أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/٣٣).

أورد المجلسي في «بحار الأنوار» هذه الآية كما أورد الآيات السابقة معتبراً أنها تتعلق بقائم آل محمد وأنه الإمام الذي سيظهر الله دينه على الدين كله. والجواب: بالنسبة إلى الآية الأخيرة فقد اعتبر بعض علماء الشيعة أن مضمونها قد تحققت فعلاً في صدر الإسلام حيث ظهر النبي وأصحابه على جميع الدنيا وأصبح الإسلام غالباً في كل مكان. ومن هؤلاء العلماء نذكر المرجع آية الله أبو القاسم الخوئي الذي ذكر في بحث إعجاز القرآن من تفسيره «البيان» أن معنى هذه الآية قد تحققت في صدر الإسلام^(١).

وقال آخرون إن هذه الآية تحققت بغلبة الإسلام في ميادين الحرب على اليهود والنصارى والزرذشتيين والكفار. وسنوضح المقصود بهذه الآية فيما يلي:

(١) جاء في صدر الآية عبارة ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ فهذا يبين أن إظهار دين الحق على الدين كله إنما تم من خلال رسول الله محمد ﷺ وعلى هذا المعنى قال بعض المفسرين إن هذا إشارة إلى غلبة محمد ﷺ وانتصاره على الكفار وأهل الكتاب في ميادين القتال. بيد أننا نرى أن الأصح هو القول بأن هذا الظهور إنما تم بواسطة البراهين والدلائل التي جاء بها القرآن الكريم وتغلب بها على المناهج الخاطئة والأديان الباطلة، ومن هذا قوله تعالى في سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ

(١) السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، «البيان في تفسير القرآن»، ط ٤، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص ٦٩.

طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿الصف/١٤﴾، فمن الواضح أن ظهور الطائفة من بني إسرائيل على عدوهم لم يكن بالحرب والقتال بل بالحجة والبرهان، وقد ذهب «زيد بن علي» إلى هذا القول أي أن أتباع المسيح إنما ظهوروا على عدوهم بالحجة، وذكر صاحب تفسير الكشاف [الزمخشري] هذا القول كذلك.

(٢) لقد صرح القرآن نفسه وأخبر في عدة مواضع بما يفيد أن اليهود والنصارى سيقون إلى يوم القيامة ولن يزولوا تماماً من على الأرض أبداً، فإذا قلنا إن هذه الآية معناها زوال اليهودية والنصرانية من على وجه البسيطة وأن جميع البشر سيصبحون مسلمين، كان قولنا غير متطابق مع الآيات الكريمة التي أوردناها فيما سبق من سورة المائدة، ومناقضاً لها. أضف إلى ذلك أنه في الآية موضع الاستشهاد لم يقل الله تعالى: هو الذي أرسل رسوله ليمحو الأديان كلها ويزيلها من الوجود بل قال ليظهر دين الحق على الدين كله.

ومما يدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة/٢١)، مع أننا نعلم أن بعض الأنبياء قتلوا، فإذا المقصود من الغلبة والظهور الغلبة والظهور المعنويين.

الآية السادسة: من الآيات الأخرى التي يستشهدون بها على المهدي أيضاً قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور/٥٥). يقولون هذه الآية نزلت بشأن المهدي.

وأقول في الإجابة عن هذا الاستدلال:

(١) جاء في صدر الآية قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ على نحو المخاطبة، مما يبين أن المقصود هم الذين سمعوا هذه الآية من النبي ﷺ حين نزولها.

(٢) جاء في هذه الآية قيد: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾، وإذا نظرنا إلى آيات القرآن التي تتكلم عن الأمم السابقة لم نجد أن الله استخلف أي أمة على جميع الكرة الأرضية، مثلاً يقول تعالى في سورة ص: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾ (ص/٢٦)، فقوله تعالى «خليفة في الأرض» ليس معناه في كل الكرة الأرضية لأنه من المعلوم أن داود لم يكن حاكماً إلا على جزء بسيط من الأرض.

فإن قيل: ما الدليل على أن داود لم يكن حاكماً فعلاً على كل الأرض؟ قلنا: الدليل هو أن ابنه سليمان الذي حكم من بعده لم يكن له علم بحال أهل سبأ الذين كانوا يعبدون الشمس حتى أخبره الهدهد بذلك، إذن لم يكن جميع أهل الأرض مستسلمين لله وخاضعين لدين داود في زمنه، فكان هناك في زمن داود عبادة للشمس لا يعلمون شيئاً عن داود، ولم يكن داود يعلم عنهم شيئاً، ثم علم سليمان في عهده بأمرهم، كما تدل على ذلك الآيات ٢٣ إلى ٢٨ من سورة النمل، وربما كان هناك أقوامٌ أكثر آخرون لم يكن سليمان مطلعاً عليهم أيضاً.

إذن يتبين أن المقصود من قوله تعالى: ﴿لَيْسَتْخَلْفَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أن يخلف المؤمنون الكفار ويتغلبوا عليهم في مكة وما حولها، وهو ما وقع في صدر الإسلام، وفي دعاء الوحدة الذي نادى به المؤمنون عند فتح مكة: «لا إله إلا الله وحده وحده، أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» فالمقصود من قولهم: «أنجز وعده» استخلاف الله للمسلمين على مكة طبقاً للآية موضع الاستشهاد أي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ علاوة على أن كلمة «الأرض» في الآية جاءت معرفة بالألف واللام، ويمكننا القول إنها ألف ولام العهد التي تشير إلى أرض معهودة وهي أرض مكة، وهذا كالأية التي قال الله تعالى فيها لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ (الإسراء/٧٦) والتي لا يقصد منها بالطبع إخراج الرسول من الكرة الأرضية! بل كلمة الأرض هنا المعرفة بألف ولام العهد يقصد بها تلك الأرض المعهودة، أي أرض مكة وما حولها.

(٣) جاء في نهج البلاغة أن الامام علي - ضمن مشورته لعمر بن الخطاب عندما استشاره للشخص لقتال الفرس - استند إلى هذه الآية موضع الاستشهاد بقوله: «وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ». إذن كان علي يفهم من الآية أن الله تعالى وعد أصحاب النبي ﷺ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي جُزْءٍ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمْكِنَ لَهُمْ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ.

الآية السابعة: من الآيات الأخرى التي يستشهدون بها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣)﴾ (النمل/٨٢-٨٣). يقولون: المقصود من «دابة من الأرض» الإمام المهدي! والمقصود من الفوج الذين يحشرون من كل أمة، «الرجعة».

والجواب: و يقولون: المقصود من «دابة الارض» الامام علي و روي عن وهب عنه قال ووجهها وجه رجل و سائر خلقها خلق الطير و هذا تناقض واضح و صارخ بين روايات. (مجمع البيان، الجزء السابع، ص ٣٦٦)

وثانياً: لا بد من ملاحظة سياق الآية وما جاء قبلها. في الآية ٦٦ من سورة النمل تكلم الله عن الكفار الذي هم في شك من الآخرة، وفي الآية ٦٧ وما بعدها نقل لنا تعالى قول الكفار ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَذَا كُنَّا تَرَابًا وَأَبَاؤُنَا أَننَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؟؟ ثم بين تعالى في الآية ٧١ تشكك الكفار بالآخرة بقولهم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ثم في الآية ٨٠ و ٨١ قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَّاتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)﴾، وهنا وصل الكلام إلى الآية التي نبحت فيها فقال تعالى: وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ [أي على الكفار المشككين بالآخرة] أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ.

إذن هذا تعقيب على الكلام الذي ذكره تعالى في الآية ٦٦ فما بعدها من أن الكفار كانوا في شك وريب من الآخرة. إذن بملاحظة الآيات السابقة يتبين أن الكلام جارٍ عن

أحداث القيامة الكبرى التي كان الكفار يشكون فيها. ثم إنه لم يأت في القرآن أي كلام عن المهدي حتى يمكن الحديث عنه وعن ظهوره، وعن شك بعض الناس بظهوره وربيتهم فيه. وهناك روايات كثيرة تبين أن الآية موضع البحث تتكلم عن علامات الساعة الكبرى المصاحبة ليوم القيامة. ثم إن المقصود من الأرض في هذه الآية هي أرض الآخرة.

وأما الآية ٨٣ من سورة النمل فإذا لاحظنا كل الآيات التي سبقتها والتي تتعلق بها أمكننا أن نفهم أن هذه الآية تتعلق أيضاً بيوم القيامة. ولكن ما معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣)﴾؟ وكيف لا يحشر الله تعالى جميع الناس بل يحشر من كل أمة فوجاً فقط؟؟

الجواب: إذا رجعنا للآيات ١٠١ إلى ١٠٢ من سورة طه رأينا أن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا. يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه/١٠٠-١٠٢). ومعنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ أي نحشرهم عمياً، ببيض العيون من العمى، قد ذهب السواد منها. فمن هذه الآيات التي تتحدث عن يوم القيامة، نعلم أنه رغم أن جميع الكائنات ستحشر إلى الله يوم القيامة، إلا أن الله تعالى سيحشر المجرمين عمياً فالكلام هنا عن حشر المجرمين فقط، وليس هذا معناه عدم حشر المؤمنين بل هم سيحشرون أيضاً، إذ من الواضح أن كلام الله تعالى عن حشر المجرمين هنا فقط لا يفيد أن الصالحين لن يحشروا أيضاً، لأن ذكر الشيء لا يعني نفي ما عداه.

ثم إنه إذا لاحظنا الآية التي جاءت بعد الآية موضع البحث من سورة النمل رأينا أن الله تعالى يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾ (النمل/٨٤). إذن يتبين أن المقصود من هذا المحييء مجيئهم إلى أرض المحشر يوم القيامة الكبرى، حيث سيكلمهم الله تعالى، إذ إن مثل هذا الخطاب من الله للناس سيكون يوم القيامة.

ثم إن الآيتين ٨٢ و ٨٣ من سورة النمل تدلان على أن الكفار عليهم أن يقطعوا مسافة حتى يصلوا إلى المكان الذي سيرمون به في النار، فإذا كان الأمر كذلك فما هو وضع الآخرين؟ أعني المؤمنين والضالين؟ لقد أشارت الآيات الأخرى إلى هذا الأمر، وأما الآيتان ٨٢ و ٨٣ من سورة النمل فهما في مقام وصف حال المكذبين بالأنبياء يوم القيامة.

الآية الثامنة: من الآيات التي يستدلون بها ما رواه المجلسي في «بحار الأنوار» نقلاً عن [تفسير فرات بن إبراهيم]^(١) بسنده «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَآلَاهَا﴾ (الشمس/٣)، قَالَ: يَعْني الأئمّة من أهل البيت يملكون الأرض في آخر الزمان فيملنونها عدلاً وقسطاً»^(٢).

والجواب: لقد أقسم الله تعالى في القرآن بالعصر والنهار والليل والقمر والشمس وأقسم بالثنين والزيتون وغيرها، وهي كلها مخلوقاته، فالنهار الذي أقسم الله به في هذه

(١) ذكر المؤلف هنا سهواً عبارة «علي بن إبراهيم» بدلاً من فرات بن إبراهيم فصححناها في المتن.

(٢) المجلسي، «بحار الأنوار»، ج ٥٣/ص ١١٨.

الآية هو هذا النهار الذي نعرفه، حيث تظهر الشمس فيه في الأفق. أما لو اعتبرنا أن المقصود من النهار وضياؤه: الإمام، فماذا سنعتبر المقصود من الليل وظلامه الذي أقسم الله به بقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس/٤]؟ إنهم يروون أن المقصود من الليل «عمر» والمقصود من الشمس «علي»!! فنجيب: إن الله لا يقسم إلا بما هو مهم وممتاز، فإذا اعتبرتم أن المقصود من الليل هو «عمر» فكيف أقسم الله به مع أنه يجب أن يقسم بالأشخاص الجيدين الممتازين!!!

تذكير: نحن نعتبر «عمر» رضي الله عنه مسلماً صالحاً نقياً، وإنما ذكرنا الاستدلال السابق من باب الجدل والاحتجاج على الشيعة بما يقولونه أي من باب إلزام الخصم، ولكي نرد عليهم من كلامهم أنفسهم.

الآية التاسعة: من الآيات التي يستشهدون بها قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ؟﴾ (غافر/١١). يقولون: إن المقصود من الإمامة مرتين: الإمامة الأولى في هذه الدنيا، ثم الإمامة الثانية بعد الرجعة.

والجواب: ليس في هذه الآية أي دليل على «الرجعة» والآية لا يقصد منها مثل هذا المعنى، لأنه لو كان القصد منها «الرجعة»، ولو فرضنا جدلاً أن هناك رجعة قبل القيامة، ففي هذه الحالة سيكون للذين سيرجعون إلى الدنيا ثم يموتون ثانية ثلاث حيوات وموتتان: وهي الحياة الأولى في هذه الدنيا، ثم بعدها موت، ثم بعدها حياة أخرى في الرجعة، ثم بعدها موت، ثم بعدها الحياة يوم القيامة. وهذا لا يتفق مع الآية، التي ذكرت أن الكفار سيقولون: «أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ». أما لو فرضنا أن الكفار لن يموتوا في الرجعة وسيأتون للقيامة مباشرة، ففي هذه الحالة سيكون لهم حياتان وموت واحد وهذا أيضاً لا ينسجم مع الآية!! إذن الآية لا تنطبق على عقيدة الرجعة. فما معناها إذن؟

إذا دققنا في الآية رأينا أن أهل النار يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ؟﴾ ومقصودهم من هذا الكلام هو ما يعانونه من عذاب في النار حيث أنهم غابوا عن الوعي مرتين وعادوا إلى الوعي مرتين، ويقولون هل هناك سبيل لخروجنا من هذا العذاب في جهنم؟ وذلك لشدة ما يعانونه فيها من عذاب. أما لو اعتبرنا أن كلامهم هو عن حياتهم وموتهم في الدنيا لكان إقرارهم بالموت والحياة في الدنيا في هذا المقام والموقف لا محل له بل لغو لا معنى له، إذ ما هي العلاقة بين التماسهم الخلاص والخروج من العذاب وبين الإقرار بأن الله أحياهم مرة في الدنيا ومرة أخرى في الرجعة؟! فإن قيل: الكفار لا يموتون في جهنم، طبقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (طه/٧٤)، قلنا: إن الكفار يتكلمون حسب فهمهم، فهم يتصورون أن حالة الغشي وفقدان الوعي التي يعانون منها في النار هي «موت» وهذا المعنى تؤيده الآية التالية من سورة إبراهيم حيث يقول تعالى: ﴿مَنْ وَرَّانِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّانِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (إبراهيم/١٦ و١٧). فهذه الآية تبين أن الموت يأتيهم من كل طرف، ولكنهم لا يموتون، لأن الله لا يميتهم حتى لا يرتاحون من العذاب. وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ معناها أنهم لا يموتون بشكل دائم ولا يحيون بشكل دائم، بل يعانون من حالة بين

الحياة والموت.
أضف إلى ذلك أن الله تعالى يقول في القرآن، حكايةً عن أهل الجنة، إنهم يقولون:
(أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى) (الصافات/٥٨ و٥٩)، مما يبين أنهم لم يذوقوا إلا
موتة واحدة وهي الموت الذي يذوقه جميع بني آدم في هذه الحياة الدنيا.



الفصل الثالث: حديث لوح جابر

ذكرنا في الفصول السابقة بعض الروايات المهمة التي أوردتها المجلسي في بحار الأنوار لإثبات المهدي المنتظر ونقدناها. ونرى من الضروري أن نذكر هنا بعض الأحاديث المهمة الأخرى التي يستدل بها الشيعة على إثبات الإمامة بما في ذلك إمامة إمام الزمان [أي المهدي الغائب المنتظر] والتي لم يذكرها المجلسي في «بحار الأنوار» في باب الروايات المتعلقة بالمهدي. ولما كانت هذه الأحاديث يشبه بعضها بعضاً سنكتفي بنقد أحدها الذي يحظى لدى الشيعة بأهمية كبيرة، وسيظهر من نقدنا وبياننا لأدلة بطلان هذا الحديث حال الأحاديث الأخرى المشابهة له. وبالطبع من أراد التفصيل في أدلة بطلان سائر الأحاديث فعليه الرجوع إلى كتاب «دراسة وتمحيص روايات النص على الأئمة» للأستاذ قلمداران.

فلنذكر الآن هنا الحديث الشهير المعروف بحديث «لوح جابر»:

روى الشيخ الصدوق هذا الحديث في كل من «إكمال الدين» و«عيون أخبار الرضا عليه السلام» بالسند والمتن التالي:

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ اسْحَقَ الطَّالْقَانِيُّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ الْقَطَّانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ السُّلَمِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّجِيمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ صَدَقَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ:

لَمَّا اخْتُصِرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْبَاقِرِ عِنْدَ الْوَفَاةِ دَعَا بِابْنِهِ الصَّادِقِ لِيُعْهَدَ إِلَيْهِ عَهْدًا فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ رَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: لَوْ امْتَنَنْتَ فِي بَيْتِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ لَرَجَوْتُ أَنْ لَا تَكُونَ أَتَيْتَ مُتَكْرراً. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحُسَيْنِ! إِنَّ الْأَمَانَاتِ لَيْسَتْ بِالْمِثَالِ وَلَا الْعُهُودُ بِالرُّسُومِ وَإِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ سَابِقَةٌ عَنْ حُجَجِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ دَعَا بِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ! حَدِّثْنَا بِمَا عَايَنْتَ مِنَ الصَّحِيفَةِ. فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: نَعَمْ يَا بَا جَعْفَرُ! دَخَلْتُ إِلَى مَوْلَاتِي فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَهْنَيْهَا بِمَوْلِدِ الْحَسَنِ فَإِذَا بِيَدِهَا صَحِيفَةٌ بَيِّنَةٌ مِنْ دُرَّةٍ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدَةَ النَّسْوَانِ! مَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الَّتِي أَرَاهَا مَعَكَ؟ قَالَتْ: فِيهَا أَسْمَاءُ الْأَيِّمَةِ مِنْ وُلْدِي. قُلْتُ: لَهَا نَازِلِي لَأَنْظُرَ فِيهَا؟ قَالَتْ: يَا جَابِرُ! لَوْ لَا النَّهْيُ لَكُنْتُ أَفْعَلُ لَكِنَّهُ قَدْ نَهَى أَنْ يَمَسَّهَا إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِيٌّ نَبِيٍّ أَوْ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيِّ وَلَكِنَّهُ مَادُونُ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى بَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا! قَالَ جَابِرٌ: فَقَرَأْتُ فَإِذَا أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُصْطَفَى أُمُّهُ أَمَنَةُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْمُرْتَضَى أُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ الْبَرِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ النَّقِيِّ أُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَدَلِ أُمُّهُ شَهْرَبَانُوتُوهِ بِنْتُ يَزْدَجَرْدَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْبَاقِرِ أُمُّهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ

الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ أُمُّهُ أُمُّ فَرْوَةَ بِنْتُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَبُو إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ أُمُّهُ جَارِيَةٌ اسْمُهَا حَمِيدَةُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا أُمُّهُ جَارِيَةٌ واسمُهَا نَجْمَةٌ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الرَّزْكَيُّ أُمُّهُ جَارِيَةٌ اسْمُهَا خَيْرَانُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ أُمُّهُ جَارِيَةٌ اسْمُهَا سَوْسَنُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الرَّقِيقِ أُمُّهُ جَارِيَةٌ اسْمُهَا سَمَانَةٌ وَتُكْنَى أُمُّ الْحَسَنِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ هُوَ حُجَّةُ اللَّهِ الْقَائِمُ أُمُّهُ جَارِيَةٌ اسْمُهَا نَرْجِسُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ»^(١).

والجواب: أولاً: جاء في هذا الحديث أن «زيد بن علي بن الحسين» طلب من أخيه الإمام محمد الباقر أن يوصي له بالإمامة، هذا مع أن زيد بن علي كان - كما قلنا فيما سبق - من المؤمنين الصالحين وممن مدحه أئمة الشيعة وأثنوا عليه، وكان زيد أخا الإمام محمد الباقر، فإذا كان هناك وجود فعلاً لهذا اللوح الذي ذكرت فيه أسماء الأئمة الاثني عشر جميعاً فكيف يطلب زيد من أخيه أن يعهد إليه بالإمامة إذن؟!

وثانياً: لماذا لم يكن هذا اللوح الهام بيد الإمام محمد الباقر، وكيف لم يكن للإمام زيد بن علي أي خبر عنه أو اطلاع عليه؟! ولماذا كان جابر هو الوحيد المطلع عليه! وثالثاً: هناك أخطاء في أسماء أمهات الأئمة التي ذكرت في الحديث، فمثلاً في حديث لوح جابر الذي جاء في كتاب «إثبات الوصية» ذكر أن اسم والدة حضرة علي بن الحسين هو «جهانشاه» أما في هذا الحديث فذكر أن اسمها «شهربانو». كذلك جاء في رواية «إثبات الوصية» للوح جابر أن اسم والدة الإمام الرضا «تكنم»، في ذكر في هذا الحديث أن اسمها «نجمة». وهكذا بالنسبة إلى سائر الأسماء.

ورابعاً: جاء في متن هذا الحديث أن فاطمة عليها السلام قالت عن هذه الصحيفة: «فِيهَا أَسْمَاءُ الْأَيْمَةِ مِنْ وُلْدِي» ثم ذكرت النبي وعلي بن أبي طالب، مع أنهما ليسا من أولاد فاطمة!

وخامساً: ليس لأحد من رواة هذا الحديث بدءاً من «سعيد بن محمد بن نصر القطان» وانتهاءً بـ «أبي نصر» أي ذكر في كتب الرجال، فكلهم من المجاهيل، ولا ندري من أين أتى بهم الشيخ الصدوق، ومن أين أخذ هذه الرواية؟! ولكن في حاشية كتاب «كمال الدين» ذكر محقق الكتاب أن «أبا نصر» قد يكون هو «محمد بن قيس الأسدي» وهو شخص اعتبره الشهيد الثاني في كتابه الدراية «ضعيفاً» وقال: «كلما كان فيه محمد بن قيس عن أبي جعفر فهو مردود»، ولكننا نقول إنه ليس محمد بن قيس يقيناً، وحتى لو كان هو فهذا من أكاذيبه. وقال المحقق في الحاشية أيضاً أنه إذا كان «أبونصر» «حميل» فهو مجهول. وعلى كل حال فإن الحديث ظاهر البطلان - كما سيأتي - إلى درجة تغنيا عن البحث في رجاله أو صحة وسقم سنده.

سادساً: وهو الأهم، أن وفاة الإمام محمد الباقر وقعت، طبقاً لكل التواريخ، فيما بين السنة ١١٤ إلى ١١٨ هـ. يُراجع للتأكد من ذلك الكتب التالية: ١- المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الأشعري: ص ٧٢. ٢- فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي: ص ٨٢،

(١) الصدوق، «كمال الدين وتام النعمة»، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥ هـ، ص ٣٠٥-٣٠٧.

حيث يذكر الكتابان أن سنة وفاته هي ١١٧ هـ. ٣- وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٤/ص١٧٠. ٤- بحار الأنوار للمجلسي: ج ١٤/ص ٤٤ (من طبعة تبريز القديمة). ٥- تاريخ اليعقوبي: ص ٥٢ (طبعة بيروت لعام ١٣٧٥هـ). ٦- منتهى الآمال (في مصائب النبي والآل) لعباس القمي، (بالفارسية): ص ١٢٢ (طبع العلمي) ٧- الإصابة في تمييز الصحابة: ج١/ص٢١٥.

أما وفاة «جابر بن عبد الله الأنصاري» فذكرتها التواريخ بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ. انظر: ١- التهذيب ج٩/ص ٧٧ (طبع النجف) ٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ج١/ص٢١٣. ٣- أسد الغابة لابن الأثير: ج١/ص٢٥٨. ٤- تنمة المنتهى: ص ٦٩. إذن هناك فاصل زمني بين وفاة الإمام الباقر ووفاته جابر يقدر في الحد المتوسط بأربعين سنة!!! أفلم يوجد من يقول لهذا الوضاع الذي اخترع هذا الحديث: كيف أتيت بجابر بن عبد الله إلى محضر الإمام أبي جعفر الباقر عندما كان يحتضر لتنتقل على لسانه قصة اللوح ولتثبت به النص على إمامة الأئمة الاثني عشر، مع أن جابر بن عبد الله كان حينئذ قد شبع موتاً في قبره منذ أربعين سنة على الأقل؟! فكيف أتيت به لكي يقنع زيد بن علي بإمامة جعفر الصادق؟.

أما الدليل الأكثر وضوحاً الذي يبين اختلاق وكذب هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث الأخرى - التي لا يزيد عددها على أصابع اليد - التي فيها ذكر أسماء جميع الأئمة الاثني عشر واحداً واحداً، هو أن جميع المؤرخين من الشيعة الإمامية ومن أهل السنة متفقون على أن الإمام جعفر الصادق أوصى بالإمامة من بعده إلى ابنه «إسماعيل»، وقد سمع كثير من الشيعة نص الصادق الصريح على إسماعيل وأمنوا أنه خليفة والده في الإمامة. لكن الذي حدث هو أن إسماعيل توفي قبل وفاة أبيه الصادق! إذن لو كان هناك لوح فعلاً وفيه ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر جميعاً لما نصَّ الإمام الصادق على إمامة إسماعيل من بعده في بادئ الأمر. ومثل هذه الواقعة تكررت مرة ثانية أيضاً عندما توفي «محمد بن علي بن محمد الجواد» المعروف بـ «السيد محمد»، في حياة والده حضرة الإمام علي بن محمد النقي [أي الإمام الهادي]، بعد أن كان والده قد عينه للإمامة من بعده، فهنا أيضاً لو كان اللوح وجود وكانت أسماء جميع الأئمة الاثني عشر مذكورة فيه بصراحة، لما نصب الإمام علي النقي ابنه «السيد محمد» خليفة له في الإمامة في بادئ الأمر.

والدليل الآخر على بطلان أحاديث النص السابق على أسماء الأئمة الاثني عشر جميعاً هو ثورات السادة العلويين. فمن ذلك مبايعة أهل الكوفة للإمام زيد بن علي بن الحسين بالإمامة وخروجه بهذا الاسم وتحت هذا العنوان، وهو من الوقائع التاريخية المسلم بها، وقد كانت عقيدة الإمام زيد بن علي أن الإمام هو من قام من أولاد علي وفاطمة مجاهداً بسيفه، لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الدين وردّ الظالمين. وهذا من أوضح الحجج على أن الإمام زيد كان منكرًا لوجود نص يعين أشخاصاً محددين للإمامة والخلافة في أهل بيت النبوة.

ويدل على ذلك أيضاً الواقعة التي هي من القضايا المسلمة في التاريخ وهي قيام محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبي المعروف بـ «النفوس الزكية» الذي كان

من أكابر أهل بيت النبوة وأجلتهم فضلاً وعلماً وتقوى، وتصديقه للإمامة، وبيعة الناس - لا سيما عترة الرسول وبنو هاشم - له بالإمامة، إلى حد أن حضرة جعفر الصادق نفسه - الذي تنسب إليه أكثر أحاديث النص هذه - دُعي إلى بيعته.

ويدل على ذلك أيضاً أنه لو كان هناك حديث فعلاً يبين نص الله تعالى على اثني عشر إماماً لكان الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسن والإمام الحسين استدلوا به واستندوا إليه لإثبات إمامتهم، أو لكان لأصحابهم أو على الأقل لعدد ضئيل ولو خمسة أشخاص من أصحابهم علم بهذه الأحاديث، في حين أن لا أحد من أصحاب أولئك الأئمة كان له أدنى علم بها! لذلك رأينا أن الإمام جعفر بن محمد نصب ابنه إسماعيل في بادئ الأمر إماماً من بعده، فتوفي قبله، وكذلك نص الإمام علي النقي على ابنه «السيد محمد» إماماً من بعده وإذا به يُتوفي قبله أيضاً.

لم يكن هناك ولدٌ للإمام الحسن العسكري

وردت في كتاب «فرق الشيعة» الذي يُعد أحد الكتب الموثوقة المعتبرة التي ألفت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، حيث أُلّفه: «أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي» الذي عدّه علماء الرجال الشيعة مثل الشيخ النجاشي والشيخ الطوسي من علماء الشيعة الموثوقين، أقوالٌ عن قضية ابن الإمام الحسن العسكري نورد أغلبها فيما يلي:

١- «بعد وفاة الإمام الحسن بن علي العسكري افترق أصحابه أربع عشرة فرقة: فقالت فرقة منهم إن «الحسن بن علي» [العسكري] حيٌّ لم يموت وإنما غاب وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من إمام...»^(١).
أقول: إذن كما نلاحظ كان أصحاب الحسن العسكري يقرون أنه لم يكن له ولد ولا خلف.

٢- «وقالت الفرقة الثانية إن الحسن بن علي [العسكري] مات، وعاش بعد موته! وهو القائم المهدي، لأننا روينا أن معنى القائم هو أن يقوم من بعد الموت ويقوم ولا ولد له، ولو كان له ولد لصح موته ولا رجوع، لأن الإمامة كانت تثبت لخلفه، ولا أوصى إلى أحد فلا شك أنه القائم، والحسن بن علي قد مات ولا شك في موته ولا ولد له ولا خلف ولا أوصى إذ لا وصية له ولا وصي...»^(٢).

أقول: إذن فهذه الفرقة أيضاً تقر بأنه لم يكن للحسن العسكري ولد.
٣- «وقالت الفرقة الثالثة إن «الحسن بن علي» توفي [ولا عقب له] والإمام بعده أخوه «جعفر» وإليه أوصى الحسن ومنه قبل الإمامة وعنه صارت إليه...»^(٣).
توضيح: فهذه الفرقة أيضاً كانت ترى أن الحسن العسكري لم يخلف ولداً.

(١) الحسن بن موسى النوبختي، «فرق الشيعة»، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، بيروت، دار الأضواء، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٩٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٧، وقد أورد المؤلف مقولة هذه الفرقة مختصرة فأوردناها من مصدره بلفظ أكمل قليلاً بغية التوضيح.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٨.

٤ - «وقالت الفرقة الثامنة إنه لا ولد للحسن بن علي أصلاً لأننا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه [وفتشنا عنه سرّاً وعلانيةً، وبحثنا عن خيره في حياة الحسن بكل سبب]»^(١) فلم نجد. ولو جاز لنا أن نقول في مثل الحسن، وقد توفي ولا ولد له، أن له ولداً خفياً لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يُقال خلف ابناً نبياً رسولاً!»^(٢).

فهؤلاء أيضاً ينفون الولد عن الحسن العسكري.

٥ - «وقالت الفرقة التاسعة أن الحسن بن علي قد صحّت وفاته كما صحّت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليهم السلام، فكما صحّت وفاته بالخبر الذي لا يكذب مثله فكذلك صح أنه لا إمام بعد «الحسن» وذلك جائز في العقول والتعارف، كما جاز أن تنقطع النبوة فلا يكون بعد محمد ﷺ نبي فكذلك جاز أن تنقطع الإمامة.»^(٣).

٦ - «وقالت الفرقة العاشرة إن أبا جعفر محمد بن علي الميت في حياة أبيه كان الإمام بوصية من أبيه إليه وإشارته ودلالته ونصه على اسمه وعينه ولا يجوز أن يشير إمام قد ثبتت إمامته وصحت على غير إمام، فلما حضرت وفاة محمد لم يجز أن لا يوصي ولا يقيم إماماً، ولا يجوز له أن يوصي إلى أبيه، إذ إمامة أبيه ثابتة عن جده، ولا يجوز أيضاً أن يأمر مع أبيه وينهى، ويقوم من يأمر معه ويشاركه، وإنما ثبتت له الإمامة بعد مضي أبيه، فما لم يجز إلا أن يوصي أوصى إلى غلام لأبيه صغير كان في خدمته يُقال له «نفس»، وكان ثقةً أميناً عنده ودفع إليه الكتب والعلوم والسلاح وما تحتاج إليه الأمة، وأوصاه إذا حدث بأبيه حدث الموت يؤدي ذلك كله إلى أخيه جعفر ولم يُطّلع على ذلك أحدٌ غير أبيه، وإنما فعل ذلك لتقل التهمة ولا يعلم به وقبض أبو جعفر، فلما علم أهل داره والمائلون إلى أبي محمد الحسن بن علي قصته وأحسوا بأمره حسدوه، ونصبوا له وبغوه الغوائل فلما أحس بذلك منهم وخاف على نفسه وخشي أن تبطل الإمامة وتذهب الوصية دعا جعفرأ وأوصى إليه ودفع إليه جميع ما استودعه أبو جعفر محمد بن علي أخوه، الميت في حياة أبيه، ودفع إليه الوصية على نحو ما أمره، وكذلك فعل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما خرج إلى الكوفة دفع كتبه والوصية وما كان عنده من السلاح وغيره إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ واستودعها ذلك كله وأمرها أن تدفعه إلى علي بن الحسين الأصغر إذا رجع إلى المدينة. فلما انصرف علي بن الحسين من الشام إليها دفعت إليه جميع ذلك وسلّمته له، فهذا بتلك المنزلة في الإمامة لجعفر بوصية «نفس» إليه عن محمد أخيه، وأنكروا إمامة الحسن [العسكري] عليه السلام فقالوا: لم يوص أبوه إليه ولا غيّر وصيته إلى محمد ابنه هذا عندهم صحيح، فقالوا بإمامة جعفر من هذا الوجه وناظروا عليها، وهذه الفرقة تنقول على أبي محمد الحسن بن علي [العسكري] عليه السلام تقوُّلاً شديداً، تكفُّره وتكفُّر من قال بإمامته، وتغلو في القول في جعفر وتدّعي أنه القائم وتفضّله

(١) هذه الجملة بين المعقوفتين من كتاب المقالات والفرق للأشعري.

(٢) الحسن بن موسى النوبختي، «فرق الشيعة»، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٥.

على علي بن أبي طالب عليه السلام وتعتقد في ذلك أن القائم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ...»^(١).

٧- «وقالت الفرقة الثالثة عشرة مثل مقالة الفطحية الفقهاء منهم وأهل الورع والعبادة مثل «عبد الله بن بكير بن أعين» ونظرائه، فزعموا أن «الحسن بن علي العسكري» توفي وأنه كان الإمام بعد أبيه وأن أخاه «جعفر بن علي» هو الإمام من بعده، كما كان موسى بن جعفر الإمام بعد أخيه عبد الله بن جعفر للخبر الذي روي أن الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى وأن الخبر الذي روي عن الصادق أن الإمامة لا تكون في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره وإنما ذلك إذا كان للماضي خلف من صلبه فإنها لا تخرج منه إلى أخيه بل تثبت في خلفه، أما إذا توفي ولا خلف له رجعت إلى أخيه ضرورة لأن هذا معنى الحديث عندهم...»^(٢).

٨- «وقالت الفرقة الحادية عشرة منهم لما سئلوا عن ذلك وقيل لهم: ما تقولون في الإمام أهو جعفر أم غيره؟ قالوا: لا ندري ما نقول في ذلك أهو من ولد الحسن أم من أخوته فقد اثنبه علينا الأمر...»^(٣).

توضيح: فهذه الفرقة أيضاً لو كانوا يعلمون أنه كان للحسن العسكري ولد هو القائم لما وقعوا في الحيرة والشك.

وقد نقل المجلسي في «بحار الأنوار» أقوالاً بأن «الحسن العسكري» لم يكن له ولد، وروى الطبري في تاريخه - والذي هو من التواريخ المعتمدة - أنه بعد خمس وعشرين سنة من وفاة الحسن العسكري ظهر رجل زعم أنه ابن للحسن العسكري، وقال: لماذا قسمتم أموال أبي بين أخيه جعفر بن علي وجدتي السيدة سوسن ولم تعطوني حقي من الإرث؟ فقامت حكومة الوقت بجمع جميع أفراد الأسرة وأظهرت عليهم هذا الذي ادعى بنوته للحسن بن علي العسكري، فأنكره الجميع وقالوا إنه يكذب وقال نقيب الأسرة ورئيسها: إننا راقبنا نساء الحسن العسكري في عدة وفاة زوجته فلم نر من إحداهن إنجاباً لولد، لذلك قسّمنا تركته على النحو المذكور، فقام الوالي بحبس الشخص المدّعي. وقد جاءت في الكتب دلائل كثيرة وروايات كثيرة تثبت هذا الأمر أعرضنا عن ذكرها طلباً للاختصار اللائق بهذا الكتاب.

(١) المصدر السابق، ص ١٠٦ - ١٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٨.

خلفاء المهدي

١- روي المجلسي في «بحار الانوار» نقلاً عن الشيخ الصدوق في كتابه (اكمال الدين) عن الدقاق، عن الاسدي (عن النخعي، عن النوفلي) عن علي ابن ابي حمزه، عن ابي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد: يا ابن رسول الله (ص) سمعت من ابيك أنه قال: يكون بعد القائم اثني عشر مهدياً فقال: ائماً قال: اثني عشر مهدياً لم يقل اثنا عشر اماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس الي موالاتنا و معرفة حقنا.

٢- روي المجلسي في «بحار الانوار» نقلاً عن الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) عن محمد الحميري، عن ابيه، عن محمد بن عبد الحميد، و محمد بن عيسى عن محمد بن الفضيل، عن ابي حمزه عن ابي عبدالله في حديث طويل أنه قال: يا با حمزه إنَّ منَّا بعد القائم احد عشر مهدياً من ولد الحسين.

توضيح: و اما التناقض الواضح بين هذه الرواية و الرواية السابقة فهو ان هذه الرواية تذكر ان يكون بعد القائم احد عشر مهدياً، اما الرواية السابقة فتذكر ان يكون بعد القائم اثني عشر مهدياً.

٣- روي مجلسي في «بحار الانوار» نقلاً عن الشيخ المفيد في كتابه (الارشاد): ليس بعد دوله القائم لاحد دوله الا ما جاءت به الرواية من قيام ولده انشاء الله ذلك، و لم يرد علي القطع والثبات واكثر الروايات أنه لن يمضي مهدي الامة الا قبل القيامه باربعين يوماً يكون فيها الهرج و علامة خروج الاموات، و قيام الساعة للحساب و الجزاء. والله اعلم **توضيح:** هذه الرواية مناقضة لكل من الروايتين السابقتين.

٤- روي مجلسي في «بحار الانوار» نقلاً عن العياشي في تفسيره: عن جابر بن يزيد جعفي قال: سمعت ابا جعفر يقول: والله ليملكن رجل منا اهل البيت الارض بعد موته ثلاثمائة سنة، و يزداد تسعا قال قلت: فمتي ذلك؟ قال بعد موت القائم، قال: قلت و كم يقوم القائم في عالمه حتي يموت قال: تسع عشره سنة من يوم قيامه الي موته...

توضيح: و اما التناقض الواضح بين هذه الرواية و الرواية السابقة فهو ان هذه الرواية تذكر ان: والله ليملكن رجل منا اهل البيت الارض بعد موته ثلاثمائة سنة و يزداد تسعا، اما الرواية السابقة فتذكر ان، لن يمضي مهدي الامة الا قبل القيامه باربعين يوماً يكون فيها الهرج و علامة خروج الاموات و قيام الساعة للحساب و الجزاء.

و في ختام هذا الكتاب ينبغي ان اسأل الله تعالى ان يتقبل منا هذا الجهد و ان يوفقنا لنصرة دينه.

ان اريد الاصلاح ما استطعت
و ما توفيقني الا بالله

